دور المعاني المعجمية في توجيه الدلالة التركيبية: دراسة في علم الدلالة التفسيري

إعداد

أ. عبد الرحمن محمد طعمة

جامعة القاهرة

مصر

المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرآن الكريم وعلومه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ (الأحقاف: 12)

مقدمة:

هذه دراسة تأصيلية تبحث أسس الدلالة التفسيرية للنص القرآني الحكيم؛ وفق قواعد الأصوليين المعتبرين في علم تفسير القرآن، وتحاول . دون تكرار أو نقل غير مجد . أن تتغيا استكناه قواعد تفسير النص واضعة في الحسبان خصوصية البناء الدلالي للقرآن الكريم، وارتباطه بالسياقين الخارجي (المقامي) والداخلي (اللغوي)، لأنه نص حي متحرك في الأذهان والأفهام إلى قيام الساعة، مسلطة الضوء على شيء من المنجز اللساني المعاصر، في محاولة لوضع نمط تفسيري يكون نموذجا للباحث في علم التفسير دون التخبط في معمعة الآراء والتأويلات الفاسدة. فهي دراسة موضوعها العلاقة المتكاملة بين علمي التفسير والدلالة، من خلال أنماط التحليل اللغوي بمستوياتها المعروفة؛ وبذلك فإن البحث يهدف بالأساس إلى بعض النقاط المهمة:

- تسليط الضوء على أهم القواعد الاستنباطية للتفسير القرآني عند علماء اللغة المفسِّرين.
- تقديم قدر من النماذج التطبيقية وفق مناهج التحليل والتفسير اللغويين؛ لإعطاء نموذج من البنية التفسيرية للنص وفق هذه القواعد.
- محاولة تقديم التفسير بشكل متكامل يجمع بين عمق التفكير في النص القرآني ودقة اللفظ، وإن كان على مستوى الصوت المفرد داخل اللفظ، لتبيين أن الإحكام النصي في القرآن الكريم يخضع لضوابط تامة؛ مهما حاول المفسِّرُ أن يخرج عنها، فسيجد نفسه محللا للنص في إطارها، وإن كان يجهلها.
- وأخيرا، ومن خلال المراوحة بين القاعدة الأصولية والنظر اللساني في نظرية اللغة المعاصرة، استكشاف عناصر التحليل النصي التي يمكن التعويل عليها، لتكون ضمن أسس التفسير في القالب الذي نحاول أن يكون مرشدا مرجعيا للباحثين في القرآن الكريم وعلومه..

وقد تكونت الدراسة من **مهاد نظري** أعقبه **ثلاثة مطالب**: **المطلب الأول– أسس عامة في نظرية التفسير الدلالية**، انقسم إلى عدة مباحث: الدليل اللغوي والذهن عند الرازي، ثم الدليل اللغوي عند ابن القيم، ثم التحليل النحوي الجمالي، ثم نظرية الرصف أو المصاحبة اللفظية ودورها في التفسير، ثم نظرية النماذج الأصلية في التحليل النصي. **المطلب الثاني – الصورة القرآنية المحمولة بالتركيب اللغوي**، وانقسم إلى: دور التخييل في تشكيل الصورة الذهنية من خلال اللفظ الدقيق، ثم نموذج لتركيب الصورة في القرآن الكريم باستخدام المقومات النحوية بوصفها عنصرا مساعدا في التركيب، ثم الأداء التعبيري ودلالة الألفاظ في الصورة القرآنية. **المطلب الثالث – نماذج منوعة من الظواهر اللغوية (الصوتية والمعجمية والصرفية والتركيبية النحوية) في القرآن الكريم وتحليلها وفق قواعد الدلالة التفسيرية التركيبية**، وقد انقسم إلى: نماذج من البنية الصوتية وأثرها في الدلالة، ثم اتساع الدلالة من خلال اللفظ المتواطئ، ثم الوحدات المعجمية وتآلفها الدلالي على مستوى التركيب القرآني عموما (نماذج تطبيقية منوعة مفصلة)، ثم دقة القرآن في استخدام الصيغة الصرفية للوحدة المعجمية بالتوازي مع مدلول التركيب، ثم تنوع الأسلوب القرآني للتعبير عن المعنى الواحد. **واختتمت الدراسة بالعروج على مسألة النظم والتأليف القرآني عموما، ثم خلاصة البحث وتوصياته، وقائمة المصادر والمراجع الخاصة بالدراسة.**

- **مهاد نظري:**

القراءة الصحيحة للنصوص تمثل نصف التفسير، وتتصل هذه الصحة بالمعرفة اللغوية للقارئ وإدراكه لمحتوى النص المكتوب، وأهم أداة لتحليل الكلام عموما هي اللغة بتشعباتها الجزئية من مستويات الأصوات والنحو والدلالة والمعجم ...إلخ، بل لقد أصبح المجال العقلي وعلوم الدماغ الفسيولوجية من أهم جهات التحليل اللغوي في الدراسات اللسانية العصبية Neurolinguistics.

وتحاول هذه الدراسة أن تستعين بشيء من الأصول الدلالية التأويلية والمنحز اللساني المعاصر لتوضيح بعض آفاق أصول التفسير القرآني Exegesis من الجهة اللغوية بمختلف مستويات تحليلاتها، تنظيرا وتطبيقا على بعض الأمثلة على سبيل التبيين لا الحصر. وقد اقتضت طبيعة النص القرآني أن نتخيا المنهج المقارن في تحليل الآيات؛ بمعنى النظر في عموم الآيات لفهم المحتوى الدلالي للكلمة داخل الجملة؛ فالباحث في تفسير القرآن لا يستطيع الجزم بالمعنى الدلالي لأي وحدة معجمية بمعزل عن سياق الآية الواردة فيه، فضلا عن عموم سياق آيِ الذكرِ الحكيمِ، ما عُرف في أصول الدلالة التفسيرية **بنظام المعاني في القرآن الكريم Qur'anic System of Meaning** وهو المعروف أيضا عند اللسانيين الغربيين بمصطلح **تسييق**

الوحدة اللغوية Contextualization وهو مصطلح تداولي وضعه "فيرث" [1] يعني ربط الكلام (الملفوظات) بسياقه النصي واللساني السابق واللاحق، لأن اللغة ليست حسابا منطقيا دقيقا . في رأيه- فلكل كلمة معنى محدد، ولكل جملة معنى محدد؛ بحيث يمكنك الانتقال من جملة إلى ما يلزم عنها من جمل حسب قواعد الاستدلال المنطقي، وذلك أساس مهم جدا من أصول الدلالة التفسيرية لأي نص مكتوب، كما سيتضح من بعض نماذج التحليل التطبيقي لبعض الوحدات المعجمية من خلال تسييقها داخل النص القرآني الحكيم.

◄ المطلب الأول – أسس عامة في نظرية التفسير الدلالية:

أولا – الدليل اللغوي والذهن عند الرازي:

لقد حدد الفخر الرازي أصلا دلاليا مهما من أصول التفسير النصي؛ ففي بحثه لمعنى (المدلول) الذي هو الصورة الذهنية التي تتشكل لتحديد (الدال) يرى أن المعنى هو اسم للصورة الذهنية لا للموجودات الخارجية، لأن المعنى عبارة عن الشيء الذي عناه العاني وقصده القاصد، وذاك بالذات هو الأمور الذهنية، وبالعَرَض الأشياء الخارجية؛ فإذا قيل: إن القائل أراد بهذا اللفظ هذا المعنى، فالمراد أنه قصد بذكر ذلك اللفظ تعريف ذلك الأمر المتصوَّر [2]. وفي سياق متصل يرى أن الكتابة دالة على الألفاظ، والألفاظ دالة على الصورة الذهنية[3] وكأن الرازي قد أدرك ما هو مقرر الآن من العلوم الذهنية وتكنولوجيا الدماغ من أن مدلول الألفاظ هو ما يخلقه المخ أولا وليس هو الظاهر في الواقع، وأيضا ما جاءت به نظريات "أوستن" و"جرايس" عن المعنى والقصدية مما لا يتسع له مقام هذه الدراسة. ويمكننا استنتاج أن الدلالة اللفظية كما يراها الرازي تنشأ من عناصرَ محددة، هي[4]:

- الدال أو اللفظ (الصوت)

---

(1) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دار المنار للنشر، القاهرة، ط 1، 1991، ص 289.

(2) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، مراجعة عبد الله الصاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 3، د.ت، جـ 1، ص 24.

(3) المرجع نفسه، جـ 1، ص 155.

(4) راجع تفاصيل ذلك: الدليل اللغوي وعلاقة اللفظ بالمعنى عند الفخر الرازي، نوار عبيدي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد السابع، جوان، 2010، ص 13 (البحث).

- المدلول (الصورة الذهنية)، وهو المتَخيَّل
- المعنى، وهو اسم الصورة الذهنية
- الأشياء الخارجية المشاهَدَة
- التسمية، وهي الاختيار الإرادي للفظ المناسب للصورة الذهنية.

ثانيا – الدليل اللغوي عند ابن القيم:

لقد فطن العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى إلى **أصول لغوية** واضحة في التفسير اتفق فيها مع شيخه ابن تيمية حينما تحدث عن الاتجاه العقلي في التفسير بصوره المذمومة، وهي ثلاث صور[1]:

1- الخطأ في الدليل والمدلول:

والخطأ في الدليل (اللفظ) يكون عن طريق تحريفه ولو بنقله من قسم من أقسام الكلم إلى قسم آخر، والخطأ في المدلول (المعنى) يكون بتحديد مراد الآية من تلقاء نفس المفسر بما لا يريده الله تعالى. تأمل تفسير المعتزلة مثلا لقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ (القيامة: ٢٢ – ٢٣)، على أن "ناظرة" بمعنى منتظرة نعمة ربها؛ لتكون (إلى) خارجة عن تصنيف حروف الجر إلى فئة الإسمية مفردةً لكلمة "آلاء" 11، وناظرة ليست من رؤية العين بل بمعنى الانتظار 11 فخطأ الدليل هو نقل الوحدة المعجمية من فئة الحرفية إلى الإسمية دون دليل، ثم تغيير المدلول المباشر الواضح من سياق التركيب لكلمة (ناظرة) لتخرج من الحقل الدلالي الأساسي لها (الرؤية) إلى حقل التوقع والانتظار، وفاتهم أن القانون اللغوي يحتم أن ناظرة إذا أسندت إلى الوجوه وعُديت بحرف الجر تعين أن يكون معناها ناظرة بالعين. وخطؤهم في المدلول (المعنى) هو تحريف التأويل ليخدم مذهبهم من نفي رؤية الله تعالى يوم الدين بالأبصار مباشرة.

2- الخطأ في الدليل (اللفظ) فقط:

ويدخل فيه وهم المفسر وهواه، كما فسر بعضهم قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٧٢ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٧٣ ﴾(البقرة: ٧٢ – ٧٣) من أن الآية بها دليل على استحضار الأرواح عن طريق أهل الذكر[2] 11

(1) منهج أهل السنة في تفسير القرآن، صبري المتولي المتولي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط 2، 2002، ص 75.

(2) منهج أهل السنة في تفسير القرآن، مرجع سابق، ص 77.

3- **الاكتفاء بمجرد المعنى اللغوي للفظ القرآني:**

في قوله تعالى: ﴿ ...وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾

(الإسراء: ٥٩)يقول بعض المفسرين إن مبصرة في الآية من الإبصار بالعين ليجعلها حالا من الناقة، وذلك ينافي الواقع، والصحيح أن مبصرة تعني . وفقا للعقل والتأويل الصحيح . أنها دالةٌ على وحدانية من خلقها وصدق الرسول الذي أُجيب دعاؤه فيها[1].

هذه الأمور تنقلنا إلى مصطلحي **الظاهر والباطن** في تفسير اللفظ القرآني؛ وقد ذهب الدكتور محمد حسين الذهبي إلى أن **الظاهر: هو المدلول اللغوي المجرد لألفاظ القرآن، والباطن: هو مراد الله تعالى من الآيات وغرضه الذي يقصد إليه من وراء الألفاظ والتراكيب**[2]. لكن المراد الذي يقصده الله سبحانه

لا أحد يستطيع الجزم به مهما صفا قلبه، ولذلك **كانت القواعد المقررة في أصول التفسير أن المعنى الباطن لكي يكون صحيحا فلا بد له من شرطَين:**

1- أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب؛ بحيث يجري على المقاصد العربية، استنادا إلى)قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (يوسف: ٢)

2- أن يكون له شاهد صريح أو ضمني في **محل آخر [الإحالة النصية، ونظام المعاني المتسق لكل آي الذكر الحكيم]** يشهد لصحته من غير معارض؛ بمعنى أنه لا بد أن يتفق مضمون هذا التفسير **الإشاري** مع مضمون دليل صحيح من الكتاب أو السنة الصحيحة، أو على الأقل لا يتعارض مع دليل صحيح.

ويضيف ابن القيم أساسا مهما وأصلا راسخا من أصول التفسير اللغوي للقرآن الكريم هو **التفسير بالمعنى المباشر والتفسير بلازم المعنى**؛ وهو ضرب من التفسير يصدق بعضه بعضا، ولا يناقض بعضه بعضا، ما دام الإسناد قد صح عن كل السلف الذين رُويت عنهم الأقوال المفسّرة، ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ

(1) منهج أهل السنة في تفسير القرآن، مرجع سابق، ص 78.

(2) الاتجاهات المنحرفة في التفسير، محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1973، ص 82.

عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ (الأعراف: ١٧٥ – ١٧٦)، حيث قدم ابن عباس التفسير بالمعنى المباشر؛ فقال: لو شئنا لرفعناه بعلمه، وقالت طائفة: الضمير في (لرفعناه) عائد على الكفر، والمعنى: لرفعنا الكفر عنه بما معه من آياتنا، وقول ابن عباس صحيح ومتسق مع السياق القرآني، وقول الآخرين غامض وخفي؛ فالكفر لم يسبق له ذكر قبل قوله تعالى (لرفعناه). وبالنظر إلى **خفاء الضمير** هنا سمى ابن القيم هذا الضرب من التفسير **لازم المعنى**: أي يلزم من استقامة المعنى الأول صحة المعنى الثاني[1]. وكثير من السلف يفعل هذا وينبه إلى لازم معنى الآيات.

ثالثا – التحليل النحوي الجمالي:

من الاتجاهات التأسيسية في التفسير المعاصر ما عُرف بمستوى **التحليل النحوي الجمالي للنص**[2]، وهو المستوى الذي نشأ من النظر في العلاقة بين النحو والدلالة، والنحو الجمالي هو: تحليل عناصر التركيب اللغوي للجملة **وبيان موضع كل لفظ وعلاقته بغيره**، وبيان التفاوت بين تركيب وآخر، أو اختلاف التراكيب في التعبير عن المعنى بنقص أو زيادة أو تقديم أو تأخير. فكل هذا يدخل إلى عالم أعمق بتدبر اللغة ويبحث في أسرارها وجمالها. من ذلك مثلا قوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ (البقرة: ١٧٩)، وعدم ذكر المولى عز وجل لفظ " قتل" بدلا من "القصاص"، لأن" القصاص" قتل مخصوص وليس عاما، وجاءت "حياة" نكرة للتعظيم؛ فالتركيب القرآني أبدع مفهوما حضاريا جديدا في أخذ الثأر من خلال التفاعل بين التركيب وتسلسل العناصر فيه، والدلالة التي خرجت من هذا التفاعل الجمالي– إن جاز التعبير– والصيغة النحوية التي ورد بها التركيب صيغة ملزمة تفيد الوجوب من خلال استخدام الجملة الإسمية التي تدل– غالبا– على الثبات والديمومة. فهذا البعد الجمالي الذوقي في التحليل اللغوي والتفسير يمثل مسلكا مهما للباحث اللغوي في سبره لمكنونات التركيب وحركية الوحدات المعجمية داخله؛ حيث إن الكلمات داخل الجُمل تتحرك وفق أساس اختياري حسب "تشومسكي" [3]؛ فأي وحدة معجمية لها **علاقات رأسية** Paradigmatic، وعلاقات أفقية Syntagmatic بالعناصر

(1) منهج أهل السنة في تفسير القرآن، مرجع سابق، ص 139.

(2) أبحاث في النحو والدلالة، السيد خضر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2009، جـ 1، ص 23 وما بعدها.

(3) ملكة اللسان: إبداع الإنسان وعبقرية المكان، أحمد دراج، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 2، 2009، ص 158.

الأخرى، وصلاحية استبدال كلمة بأخرى يُعد من العلاقات الرأسية، مثل استبدال المسند والمسند إليه، كما في:

الكتاب (مسند إليه) ← مفيد/ مفتوح/ في المكتبة/ قيّم.. إلخ (مسند).

الكتاب / الورق / الأقلام (مسند إليه) ← في الصندوق(مسند).

فالاختيار هنا من قائمة رأسية معينة، ولكنها مفتوحة نسبيا.

أما العلاقات الأفقية على مستوى التركيب فإنها تتحدد من خلال عناصر ثلاثة:

1- **التضام**: فالمفردة الواحدة تتطلب نوعا من أجزاء الكلام بوصفه عنصرا مصاحبا: انتصر الجيش، وليس الثوب.

2- **الرتبة**: وهي (الدرجة أو المرتبة التي تشغلها وحدة ما في سياق أفقي محدد)؛ فالصفة لا بد أن تأتي بعد الموصوف في العربية، ويتقدم المفعول على الفاعل بشروط... إلخ.

3- **المطابقة**: وهي في النوع بين الفعل والفاعل، وفي التعريف والتنكير بين الصفة والموصوف.

ويرى أحد الباحثين أن العلاقات بين الكلمات في العبارات والجمل تأخذ معناها من سياق الكلام[1]؛ إذ تقوم على أساس ظواهر شكلية تحكم العلائق بين الكلمات بعضها والبعض الآخر، وهذه الروابط ثلاث:

- التماسك السياقي Transitivity
- التوافق السياقي Concord
- التأثير السياقي Governance

ويقصد **بالتماسك السياقي** الترابط بين الكلمات من حيث الوظائف التي تؤديها كل واحدة منها بالنسبة للأخرى في الكلام، كأن تؤدي كلمة وظيفة الفاعل بالنسبة للفعل، أو وظيفة المبتدأ بالنسبة للخبر... إلخ، **والتوافق السياقي** يقتضي التطابق بين بعض أجزاء الكلم، من حيث الشخص (المتكلم والمخاطب والغيبة) والعدد والنوع، تمامًا كما ذكرنا في عنصر المطابقة للعلاقات الأفقية بين الكلمات في الجملة. ويحدث ذلك كله نتيجة للنظام اللغوي الحاكم للتراكيب، الذي يؤثر على الكلمات لتؤدي وظائفها ويتماسك السياق وتتطابق مفرداته، وهذا هو **التأثير السياقي**. وسنورد لذلك أمثلة في موضعه من هذه الدراسة.

(1) أصول النحو العربي، محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ط 5، 2006، ص ص 223 225.

ومن الموضوعات المرتبطة بهذا الأمر ما أشار إليه تمام حسان **بالقيود المعجمية على التركيب النحوي** لتحديد المعنى، التي أرى أنها من الأصول اللغوية المهمة في علم التفسير النصي من الجهتين: الدلالية والنحوية، نورد هنا بعضها[1]:

من أشهر قيود المعجم على التركيب النحوي أن الشيء لا يُضاف إلى نفسه، وبالتالي فلا يُضاف إلى ما في معناه، ونلاحظ أنها **قيود دلالية** بالأساس، فلا يجوز: كتاب السَّفر، أو جسم الجسد، فالإضافة تكون على معنى حرف الجر. **وعلاقة الإضافة ذهنية تقتضي التغاير بين المتضايفين**، وإذا ورد ذلك عن العرب أُوّل؛ فالمسجد الجامع يعني مسجد المكان الجامع ... إلخ.

ومن هذه القيود أيضا عدم الجواز أن تكون الحال من مادة اشتقاق فعلها، حتى لا تحدث مطابقة في المعنى بين حدثين يلابس أحدهما الآخر؛ فلا يجوز: سرى ساريا، إلا في حالة إذا خصصت الحال بحدث: سرى ساريا لا يخاف. وكذلك تأتي الحال من المضاف: حييت صاحب الحصان مزمعا سفرا، ولا تأتي من المضاف إليه؛ فلا تقول: حييت صاحب الحصان مسرجا، إلا بشرطين:

- **نحوي:** وهو أن يكون المضاف صالحا لأن ينتصب المضاف إليه في حيزه؛ مثل قولك: حييت راكب الحصان مسرجا، أو: هذا راكبٌ الحصانَ مسرجا؛ بنصب الحصان على المفعولية لاسم الفاعل "راكب".
- **معجمي:** أن يكون المضاف . من حيث المعنى . بعض المضاف إليه، أو مثل بعضه؛ مثل قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الحجر: ٤٧)؛ فالحال تكون من الضمير الذي في (صدورهم)، وصح ذلك لأن الصدر أجزاء من مدلول الضمير.

وشرط المفعول معه معجمي، وهو أن تدل الكلمة المعربة مفعولا معه على شيء يمكن ملازمته أو مصاحبته مكانيا أو زمانيا؛ فقولك: لزمت زيدا ويمين الطريق، تستطيع أن تقول فيه: لزمت يمين الطريق، وبذلك فلا مانع من العطف؛ فمطلق الجمع مساو لمعنى المعية هنا.

وفي باب الظرف هناك أسماء تلتبس بالمفعول به (على زعم استصحاب الإسمية) أو المفعول فيه (على زعم النقل إلى الظرفية)، مثل: أحببت أول الربيع، وتذكرت ساعة الأصيل، وتأملت ساعة الأصيل.

---

(1) انظر على سبيل المثال، مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن، تمام حسان، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، 2010، ص ص 97 113.

ومنه امتناع الإخبار بالزمان عن الجثث، إلا ما ورد عن العرب فى ذلك؛ مثل قولهم: الرطب شهري ربيع؛ فتأويله: ظهور الرطب شهري ربيع.

وقد يُحذف المفعول من التركيب إذا كان فى الفعل دليل عليه، أو عموم يشمله، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القصص: ٢٣)؛ حيث حذف المفعول من كل فعل، لأن السعي والذود والإصدار فهمنا منه أن المقصود هو الماشية.

وقد أدى ذلك وغيره إلى أن يقول "تشومسكي" **بقيود الانتقاء**؛ حيث اختيار مفردات الجملة يكون متناسبا مع المعاني التركيبية، ومعناها أنك عندما تأتي بكلمة فى الجملة يضيق مجال الاختيار بالنسبة إلى تاليتها ... وهكذا، **حتى تكاد الكلمة الأخيرة فى التركيب تفرض نفسها فرضا على المتكلم.**

رابعا – نظرية الرصف أو المصاحبة اللفظية ودورها في التفسير:

ومن الأسس المقررة في التحليل اللغوي الذي يجب توخيه في أصول التفسير ما عُرف بظاهرة **الرصف أو المصاحبة اللفظية** Collocation، الذي عرفه اللساني "ستيفن أولمان" بأنه [1]: "الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة"، أو "استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين استعمالهما عادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى"، ومن أمثلة هذا السياق اللغوي الرصفي كلمة (منصهر) التي ترتبط مع كلمات مثل (حديد– نحاس– ذهب– فضة.. إلخ)، ولا ترتبط أبدا مع كلمة (جلد)، وليس ذلك دليلا كافيا للقول بالتنافر بين الكلمتين، بل إن المجموعة المذكورة تربطها صفات مشتركة من الصلابة والتشكل والبريق والبرودة؛ تلك الترابطات المنعدمة في مجموعة (الجلد): الخفة والليونة والمخفات اللون[2]. وسنرى مثل ذلك في القرآن الكريم؛ كالارتباط شبه الدائم بين الجنة والنار، والسمع والبصر ... إلخ.

(1) Stephen Ullmann: Meaning and Style, Oxford University Press, 1973. P 9.

(2) علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة، حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2009، ص ص 67–68.

وأورد عبد الفتاح البركاوي تعريفا للرصف بأنه: " الورود المتوقع أو المعتاد لكلمة ما مع ما يناسبها أو يتلاءم معها من الكلمات الأخرى في سياق ما "[1].

مثل: البقرة الحلوب– الأم الرءوم– السماء الزرقاء... إلخ.

وقد استتبع ذلك ظهور مصطلح الوقوع المشترك Co- Occurrence باحتمال وقوع الكلمة في أكثر من سياق، **وهو ما يحدث في النص القرآني**، وبالتالي استوجب التحليل الدلالي تتبع اللفظة في السياق الكلي للآيات وليس في سياق آية واحدة فقط.

ويشدد علماء هذه النظرية على ضرورة الصحة النحوية للجملة، وهو ما أطلقوا عليه مصطلح التقبلية Acceptability الذي اشتهر أيضا بالمقبولية.

◄ ويتحكم في مفهوم الرصف أمران:

– العلاقات المعجمية بين الكلمات المتراصفة.

– اطراد استعمال عدد من الكلمات في شكل مصاحبة شبه دائمة.

ومن هذا التآلف بين الوحدات المعجمية، على سبيل المثال، عندما يشير المتكلم إلى تنفيذ حكم الإعدام في شخص ما بقطع رقبته فإنه يقول: تُضربُ عنقُه! ولكن ليس له أن يقول: يُضرب جيدُه، على الرغم من الترادف الإدراكي بين الكلمتين: عنق، وجيد، والسبب هو أن **الائتلاف التكويني** بين الجيد والضرب غير موجود في اللغة العربية[2]. وشبيه بهذا العلاقة النحوية بين الكلمات؛ فالكلمات المتوالية في العربية تتأثر ببعضها؛ فكلمة (سبعة) في تركيب: حضر سبعة طلاب، لا يمكن استبدالها بـ(سبع) أو (سبعٌ)، لأن هذا الائتلاف لا يسمح بغير الصيغة (سبعة). تلك أصول تأسيسية يجب أن تكون حاضرة في ذهن المفسر اللغوي، وبدونها لن يستطيع القطع بدلالة اللفظ في سياق النص أبدا. وهذا هو ما طرحه العلامة عبد القاهر الجرجاني تماما من مفهوم **الائتلاف** ضمن حديثه عن **نظرية النظم**، ومثّل عنده اختيار المتكلم للألفاظ المنتظمة في الجملة التي تحقق المعنى المطلوب لدى المخاطب؛ أي الفائدة؛ ذاك الانتظام المعجز الذي نراه في سياق القرآن الكريم، وسنعرض بعضَ نماذجه في موضعه. وأصبح هذا المبدأ من أهم أسس التحليل اللغوي المعاصر للنصوص، وأخذ مصطلح **الدلالة التكوينية أو التأليفية**

(1) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، عبد الفتاح البركاوي، مرجع سابق، ص 52.

(2) أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، محمد محمد يونس علي، عالم الفكر، الكويت، م 32، ع 1، سبتمبر 2003، ص 138.

Compositional Semantics مكانه واستقر في علوم التأويل النصي Hermeneutics، وأصبحت دراسة الوحدات المعجمية داخل التركيب النحوي والبحث عن المكونات المباشرة للدلالة المستفادة من هذا البناء ركيزةً للوصول إلى المعنى اللغوي للتراكيب.

خامسا – نظرية النماذج الأصلية في التحليل النصي:

لقد اعتمدت اللسانيات الحديثة **نظرية النماذج الأصلية** Prototype Theory أساسا من أسس تفسير النص اللغوي، في محاولة للفصل الذهني بين مختلف أصناف الوحدات اللغوية في التحليل الدلالي. وتقوم نظرية النماذج الأصلية على تصوُّرٍ مختلفٍ للأصناف؛ إذ ترى أنّ [1]:

1- بنية الأصناف قائمة على وجود عناصر مركزية أو نموذجية central typical members وعناصر أخرى هامشية marginal.

2- بنية الأصناف ليست ثابتة ولا مطلقة، بل هي متغيرة؛ إذ إنها **تعتمد على نموذج إدراكي مخزون في الدماغ** يتأثر بالبُنى الثقافية والتجارب الإنسانية المختلفة.

3- الحدود بين الأصناف غير واضحة أو نهائية، بل هي حدود غائمة أو مبهمة (fuzzy) نوعا ما، وقد تتداخل (كما في الأسماء التي أشبهت الفعل، أو الأفعال التي ضارعت الأسماء).

4- لا يُشترط أن توجد جميع الخصائص المعرِّفة للصنف في جميع العناصر المنتمية إليه؛ فبعض العناصر قد تشترك في عدد قليل جدا من الخصائص؛ فالاشتراك في القليل من الخصائص يمثل مساحة آمنة للمفردات والألفاظ حتى يكون السياق غير محكوم أو مقيد بأوعية أو قوالب جامدة كما يحدث في كثير من اللغات الأخرى غير العربية؛ ولذلك وجدنا المفسرين والمعربين للنص القرآني يستخدمون هذه المساحة الآمنة في استكناه المعنى المستفاد من اللفظ ومن عموم التركيب، وأرى أن هذه النظرية لا تنفك في فحواها عن **نظم** عبد القاهر الجرجاني، شيخ البلاغيين العرب، وهذه الأسس هي أصل يجب مراعاته في التفسير النصي للقرآن الكريم، خاصة عند التعامل مع الوحدات المعجمية وما يتفرع عنها من وحدات دلالية وصرفية وصوتية ... إلخ من مختلف النماذج والأصناف اللسانية المعروفة.

إن العلوم اللغوية التي تستخدم مناهج التحليل في تفسير النص تَعُدُّ الكلمة أصغرَ حامل للمعنى مستقل نسبيا، وتحمل الدال والمدلول، والكلمات هي أصغر الوحدات الدلالية وتسمى **العلامة اللغوية**،

(1)آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي، لطيفة إبراهيم النجار، مجلة جامعة الملك سعود، م 17، الآداب، 2004، ص 14.

ليظهر في حقل اللسانيات مصطلح **علم دلالة المكونات Combinatorial Semantics** الذي ينظر إلى معنى كلمة ما أو وحدة معجمية ما بوصفه بنية من عناصر المضمون المفهومية والعلاقات بين هذه العناصر(1)، ويشمل فرضيات تطرح إمكانية إعادة بناء معنى الكلمة المفردة (الوحدة المعجمية) عن طريق تفتيتها إلى مكونات أصغر من خلال معلومات السمات اللغوية والسياق وغيرهما من معطيات الحدث المكون للتركيب اللغوي، حتى إن الصوت المفرد والحرف المفرد يكون له دور في تغيير مضمون الكلمة من سياق إلى آخر، وهو ما سنورد أمثلة له في طيات هذه الدراسة.

◄ المطلب الثاني – الصورة القرآنية المحمولة بالتركيب اللغوي :

• أولا – دور التخييل في تشكيل الصورة الذهنية من خلال اللفظ الدقيق:

إن من خصائص الصورة القرآنية . تشبيه أو استعارة أو كناية . أنها تتحرك بأبعاد ثلاثة نحو القلب والعقل والنفس؛ فتملأ العقل **بالحُجة** والقلب **بالرضا** والنفس **بالبصيرة وعظمة التصوير**، مع طهارة الهدف ونُبل المقصد وعدم التفاوت في الأسلوب(2).

والتصوير هو القاعدة الأساسية في أسلوب القرآن، **والتخييل والتجسيم** هما الظاهرتان البارزتان في هذا التصوير، وذروة النسق القرآني نلمسه في **التناسق الفني** بين عناصر التصوير(3)، وأهمها جزئيات التركيب اللفظي وصولا إلى البناء المحكم للجملة القرآنية الحاملة لمحتويات الصورة؛ بداية من التنسيق في تأليف العبارات، مرورا بالإيقاع الموسيقي الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص، ثم التسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات والتناسب في الانتقال من غرض إلى آخر، وصولا إلى أعلى نوع من التناسق تنبه إليه الأصوليون في تفسيرهم وهو **التناسق النفسي** بين الخطوات المتدرجة في بعض النصوص(4)، خاصة في النماذج القصصية المطوّلة؛ فقد نرى لفظا واحدا يستقل برسم صورة شاخصة على سبيل خطوة في تناسق التصوير يقوم بها اللفظ مقام الجملة، تارة بجرسه الذي يلقيه في الأذن، وتارة بظله الذي يلقيه في الخيال،

---

(1) راجع تفاصيل أكثر وأمثلة تحليلية: تفسير النص، أسس نظرية لغوية لعلم دلالة تفسيري، ديتريش بوسه، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط 1، 2013، ص ص 43 63.

(2) البحث البياني في البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، عطية جمعة هارون، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2012، ص 28.

(3) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق المصرية، ط 20، 2010، ص 87.

(4) التصوير الفني في القرآن، المرجع السابق، ص 88.

وتارة بالظل والجرس معا؛ تأمل كلمة "**اثَّاقَلْتُم**" في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ... ﴿٣٨﴾ ﴾ (التوبة: ٣٨)؛ لتجد أن الخيال يتصور ذلك الجسم الثقيل الذي يرفعه الرافعون بجهد بالغ، فالكلمة تحمل أطنانا من الأثقال، ولو قال "تثاقلتم" لخف الجرس وضاع الأثر المنشود، ويدعم هذه الصورة لفظ "**لَيُبَطِّئَنَّ**"، في قوله سبحانه في موضع آخر: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (النساء: ٧٢)؛ لترتسم صورة التبطئة في جرس العبارة كلها وفي جرس "ليبطئن" خاصة، حتى إن اللسان يكاد يتعثر وهو يتخبط فيها، ليصل ببطء إلى نهايتها[1]. فالمفردة القرآنية تقوم بجماليات التصوير وتبني نظاما من المعاني الخاصة بلغة القرآن الكريم يتفرد بها النص المعجز، ولذا وجب على المفسر للنص الحكيم أن يقع في ذهنه خصوصية التركيب اللفظي، ومغايرته أحيانا للمعجم، لأن اللفظ قد يكتسب ظلالا للمعنى بدخوله في نظام التصوير والتخييل القرآني.

• **ثانيا – نموذج لتركيب الصورة في القرآن الكريم باستخدام المقومات النحوية بوصفها عنصرا مساعدا في التركيب:**

قد تجد في أحيان كثيرة عنصرا نحويا يتحكم في بيان الكثير من الأوامر والنواهي ويوجز التركيب البنائي للجملة؛ ومثال ذلك **امتداد الصورة بعنصر تركيب كاسم الإشارة**؛ تأمل قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٢)، واستمر في القراءة حتى الآية (39) لتجد: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٩)؛ واسم الإشارة فيها يعود على المذكور ويطوي هذه الأوامر والنواهي الواقعة بين الآيتين، وهي كثيرة جدا، ويهيئ الكلام لوصف تلك الآداب بأنها من الحكمة. ولولا اسم الإشارة وما تميز به من **شمول الدلالة** لما أتيح للأسلوب هذا الإيجاز والتركيز[2] . وكذلك قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾

(1) المرجع السابق، ص 90. وانظر كذلك: من جماليات التصوير في القرآن الكريم، محمد قطب عبد العال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، 2006، ص 12 وما بعدها. وتأمل التكامل التصويري بعرض الآيات المتشابهة في سياقات متنوعة.

(2) خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 8، 2009، ص 244.

وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ١٣ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ١٤ قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ١٥ ﴾(الفرقان: ١١ – ١٥)؛ ففي وصفه سبحانه لجهنم بالتغيظ والزفير الكثير من المعاني، وكذلك قوله عنهم إنهم مُقَرَّنين؛ فعرض العذاب والمعَذَّبين في صورة أهول ما تراه العين، ثم اختتم الصورة بقوله: "قل أذلك خير ..."؛ **فأحضر الصورة كلها مرة ثانية وجسدها لتكون في مقابل الصورة الأخرى عن جنة الخلد التي وُعد المتقون**، فاسم الإشارة هنا أعاد في كلمة موجزة جزئيات التقابل بين الصورتين، وكأنه أحضرها من غيب المستقبل البعيد[1]. ولنتأمل كذلك صورة **عباد الرحمن** في آية الفرقان المطولة؛ لنلاحظ التوليد التركيبي بين الجمل ونمو الجمل داخل الجمل نموا محددا، ثم الوقوف عند فاصلة حسنة، ثم بداية فرع آخر داخل الجملة نفسها، ليمتد امتدادا محسوبا قد يطول أو يقصر بالنسبة للفرع الآخر، لينتهي بخاتمة يتم عندها المعنى أوفَى ما يكون التمام، وكل ذلك داخل جملة واحدة فقط، ويبدأ فرع ثالث، وهكذا، حتى تتوافى الجمل الداخلة في حيز المبتدأ (**عباد الرحمن**) (الآية 63 من الفرقان)، وينتهي خبر المبتدأ عند الآية (73)؛ حيث يُبنى الخبر الأخير على إعادة المبتدأ عن طريق اسم الإشارة: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠ ﴾ (الفرقان: ٧٠)، ليكون عندنا 10 آيات في جملة واحدة مكونة من **مبتدأ وخبر**، وعنصر ربط مهم جدا هو اسم الإشارة[2]، في مجموعة متلاحقة من الأخبار التي تتمازج وتتلاحم ويقوم بها خبر عباد الرحمن في النفس مرة واحدة، فهذه الصفات والأخبار المتداخلة تشير إلى أن هذه الخلال تقوم في نفس المؤمن مرة واحدة وتوضع فيها وضعا واحدا، وتراها في خلائق المؤمنين متشابكة متمازجة، يمد بعضها بعضا، وينعطف بعضها على بعض، لتكون في النهاية صفة واحدة هي **عبوديتهم لله رب العالمين**[3].

وبهذا كان من اللازم في **عُدة المفسر الكسيبة** كما يسميها أهل اللغة من الأصوليين أن يتقن استخدام أدوات الربط النحوية وموقعها ودلالتها في التركيب اللغوي، وخروجها أحيانا عن الاستخدام

(1) خصائص التراكيب، المرجع السابق، ص 245.

(2) راجع تفاصيل تحليل الآيات، دلالات التراكيب: دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 4، 2008، ص 361 وما بعدها.

(3) المرجع السابق، ص 371.

الموضوعة له في الكتب التأسيسية، لأن التعامل مع النص القرآني يوجب الدقة والحرص الشديدين في استكناه المدلول اللفظي كما رأينا.

• **ثالثا – الأداء التعبيري ودلالة الألفاظ في الصورة القرآنية (التضافر المعجمي الصوتي):**

الألفاظ في أسلوب القرآن لها جمالها المميز ووقعها النغمي وتناسقها الكامل مع المعنى وائتلافها مع دلالات المعاني المصاحبة، بحيث يستحيل أن تنزع لفظا من مكانه أو تأتي بمرادف له، لشدة **الرصف اللفظي** التركيبي بين أجزاء التعبير؛ تأمل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ (البقرة: ٤٩)، لقد عكست الآية القرآنية المهانة التي كان عليها بنو إسرائيل، وجاءت الألفاظ متضافرة مع رصفائها بحيث تعجز عن الإتيان بمرادف لها؛ ففي كلمة يسومون مثلا نجد **المد الصوتي** الذي يوحي بالاستمرار والتواصل، فالزمن الصوتي للفظ يستغرق وقتا طويلا نسبيا، مما يعكس حالة العذاب التي طالت عليهم، ونلاحظ التضافر المعنوي الشديد مع عبارة (سوء العذاب)؛ فكلمة "سام" تعلو بدلالة المعنى في "سوء العذاب" إلى بيان ألوان العذاب الشديد، كذلك كلمة "يُذَبِّحون" جاءت بيانا لكلمة "يسومون" ليكون التشديد الصوتي فيها متضافرا مع صورة سوء العذاب المتَضَمَّنة في الآية، بل إن هناك مَلحظًا مهما جدا فيها، وهي أننا لو قلنا "يَذبَحون" بترك التشديد لتغير المعنى تماما الذي يحمله التركيب، لأن الاكتفاء بحركة الفتحة على الباء ينقل الدلالة إلى معنى الذبح الخاص بفاعل الفعل، بحيث تنتفي فيه إرادة الفعل والإصرار عليه وانسحابه على الغير بكثرة كما يظهر من سياق الآيات، ونحن نعلم من التاريخ أن كهنة الفرعون أنذروه بأن مولودا سيولد وسيكون في مولده هلاكه، ليكون فعل الذبح مستمرا على كل مولود يولد في تلك الحقبة؛ **لتكون الكلمة بحركة التشديد الصوتي جامعة للسياق اللفظي والتاريخي معا**[1]. وتأتي كلمة "يستحيون" لتكشف جانبا آخرَ من البلاء؛ فإذا كان هناك قتل بهذه البشاعة فهناك حياة، لكنها حياة الهوان والمذلة، تتحول فيها العفيفات إلى خادمات مملوكات، مما يعكس مأساة اليهود في مصر في تلك الفترة من الحكم الفرعوني. فالمفردة القرآنية تشع جمالا وأداء ودلالة، وكل كلمة من كلمات الكتاب العزيز تعطيك صورة بيانية بديعة قائمة في طيات الحروف والأصوات المكونة لها، بل تحمل تاريخا كاملا، في تناسق بديع مدهش.

(1) من جماليات التصوير في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 16.

◄ المطلب الثالث – نماذج منوعة من الظواهر اللغوية (الصوتية والمعجمية والصرفية والتركيبية النحوية) في القرآن الكريم وتحليلها وفق قواعد الدلالة التفسيرية التركيبية:

• أولا – نماذج من البنية الصوتية وأثرها في الدلالة:

فرق اللغويون، كابن جني وغيره، بين ثلاثة أنواع من الطول المقطعي الصوتي بما يُعد أساسا مهما من أسس التحليل اللغوي، لاسيما للمفسر اللغوي، وهي: القصير والطويل والأطول؛ غير أن التقابل بين وحدتي الطول (القصير / الطويل) هو فقط ما يُعد تقابلا فونيميا يعمل على نحو تمييزي بين الكلمات في النظام الصوتي للعربية، أما التقابل بين وحدتي الطول (الطويل والأطول) فهو تنوع موقعي ألوفوني لا أثر له في تغيير المعنى المعجمي للكلمة، وإنما تُستغل مثل هذه التنوعات الألوفونية للحركات الأطول في البيئات العربية المختلفة اللهجات بوصفها مؤثرات تؤدي في أغلب الأحيان إلى تغيير ما يسمى **بظلال المعاني**؛ فأحيانا يُستخدم مثل هذا التنوع من الإطالة المقطعية الصوتية لإبراز معنى السخرية أو التهكم أو الاستياء أو الغضب أو التساؤل والدهشة، على حسب الموقف الذي يُساق فيه الكلام.

• على مستوى الصوائت Vowels

– هناك تغير في الصوائت يؤدي إلى الانتقال إلى حقل دلالي آخر تماما:

تأمل الفارق بين الحركة الصوتية في الوحدتين اللفظيتين (**يَهْوَى // يَهْوِي**)؛ قال سبحانه: ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾ (طه: ٨١)؛ بمعنى هلك وضل السبيل [البعد هنا معنوي في التصوير]، والهَوَى هو اتباع النفس الأمارة بالسوء على التحقيق، وقوله تعالى: ﴿ ... أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (البقرة: ٨٧)، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (المائدة: ٧٠)، وقال تعالى: ﴿ ... إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ (النجم: ٢٣). فإذا تغيرت الحركة إلى الكسرة تغير الحقل الدلالي: قال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (إبراهيم: ٣٧)، بمعنى المجيء، أو

الإتيان والقصد، وقال تعالى: ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ (الحج: ٣١)، بمعنى يسقط ويهلك [والبعد التصويري هنا مادي، فالسقوط على الحقيقة]، والأمثلة كثيرة على مثل هذا. ويجب على المفسر أن يتنبه جيدا إلى مثل هذه الوحدات الصوتية وأثرها في تغيير المعنى الدلالي للتركيب.

وهناك تغير في الصوائت لا يُخرج من الحقل الدلالي لكنه يضيف ظلالا للمعنى تُستفاد من عموم السياق والتركيب اللغوي: مثل الفرق بين (أوى // وآوى)؛ حيث الانتقال بالحركة من الفتحة القصيرة إلى الطويلة أضاف بُعدا دلاليا خاصا؛ "فأوى" فعل لازم غير متعد، أما آوى تتعدى إلى مفعول يقع عليه أثر الإيواء؛ قال تعالى: ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ (الكهف: ١٠)، وقال تعالى: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ..﴿٤٣﴾ ﴾ (هود: ٤٣)، وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ (هود: ٨٠)، وغيرها من الآيات الكريمات. أما بالمقابل فنلاحظ الفعل "آوى" ووقوع أثره على معين: قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾(يوسف: ٦٩)، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (يوسف: ٩٩)، وقال تعالى: ﴿.....فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الأنفال: ٢٦)، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ (المؤمنون: ٥٠)، مع ملاحظة تعلق حرف الجر (إلى) بالفعل "أوى" اللازم، وجواز تعلقه أو عدمه مع المتعدي "آوى". فالتغير الحادث كان تغيرا في جهة الدلالة وليس في أصلها.

- **على مستوى الصوامت Consonants**

وأمثلته كثيرة، لكن الملحظ الدلالي المهم هنا هو أن التغير في الصوامت يغير الحقل الدلالي تماما ويهيئ التركيب لمحتوى معجمي مغاير تماما، وسأكتفي هنا بمثال تحليلي أرى أهميته الصوتية في التفسير الدلالي، وهو قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ (الشعراء: ٦٣)؛ فلم يقل سبحانه: فانفلق فكان كل فلق، بإثبات اللام في المصدر كما في الفعل، ومعلوم أن **الفِرق** لغة هو الطائفة من الناس ومن كل شيء، وفي السياق القرآني نفهم أن المعنى الطائفة من

الماء دلالة على الكم الكبير، وهو كذلك اسم لما انفرق وانفصل، أما **الفِلق** لغة فهو الشق، ورغم اقتراب الدلالة بين اللفظين فإن التعبير القرآني كي ينقل الصورة تماما وكأنك ترى ما حدث كان دقيقا معجزا في اختيار الوحدة الفونيمية المعبرة داخل الفعل الواحد:

- **فالفِلقُ يُقال اعتبارا بالانشقاق**
- **والفَرقُ يُقال اعتبارا بالانفصال**

والبحرُ انفصل بالفعل وتفرق إلى جزأين كان كل واحد منهما كالجبل العظيم.

لاحظ كذلك الفرق الجوهري بين الوحدتين (**أز // هز**)، وقد عرض ابن جني كثيرا من ذلك في خصائصه تحت عنوان **تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني**، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ (مريم: ٨٣)؛ أي تزعجهم وتقلقهم، وهو في معنى تهزهم هزا، والهمزة أخت الهاء، فاللفظان متقاربان لتقارب معنيهما، لكن الهمزة أقوى من الهاء، والمعنى هنا أقوى في النفوس من الهز، لأنك قد تهز من لا بال له، كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك[1]. فالمادتان تدوران . معجميا . حول معنى **التحريك، لكن الحركة في (الأز) معنوية، وفي (الهز) مادية حسية**، والإزعاج النفسي تحريك معنوي، ولذلك قال تعالى في موضع آخر: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ (مريم: ٢٥)، على التحريك الحسي الملموس.

فالإيقاع الصوتي للكلمة القرآنية إذن يوحي بظلال معنوية تُضاف إلى المعنى المعجمي أو العرفي الموضوع، يُستنبط من التركيب والسياق؛ حتى إنك قد تجد أن جرس الأصوات يحاكي جرس الحدث كما رأينا سالفا، لترتسم صورة الحدث في ذهن المتلقي؛ فالدلالات المكتسبة من حكاية الأصوات أداة مهمة من أدوات التفسير القرآني. اقرأ على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ... ﴿٣٧﴾ ﴾ (فاطر: ٣٧)؛ فسياق الآيات قبلها متدرج بوصف حال الكافرين في نار جهنم من الاضطراب والتقلب والعذاب الدائم، لتأتي لفظة **يصطرخون** معبرة موحية بدوي صراخهم من أثر العذاب؛ فالكلمة يجتمع بها ثلاثة أصوات مفخمة (الصاد والطاء المنقلبة عن تاء افتعل والخاء) ليحاكي الفعل أصداء صراخهم من دوي وصخب عال عبرت عنه أصوات التفخيم في الفعل؛ وهو

(1) الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط 1، 1986، 148/2.

الأمر الذي عرضنا نموذجا منه في بيان تشكيل الصورة الذهنية المتخيَّلة عند المتلقي، كما أوضحنا في الحديث عن تكون الصورة القرآنية من خلال آليات التآلف اللفظي.

• **ثانيا – اتساع الدلالة من خلال اللفظ المتواطئ:**

يفرق الأصوليون بين المشترك والمتواطئ من جهة أن اللفظ المشترك هو اللفظ الواحد الموضوع لعدة معان وضعا أولا، أما المتواطئ فهو لفظ يُطلق على أشياء متغايرة ولكنها متفقة في المعنى الذي وُضع اللفظ له؛ مثل كلمة **لون**؛ فالسواد لون، والبياض لون، والحمرة لون ... إلخ[1]، ومثل كلمة **رجل** التي تطلق على الكبير والصغير ... إلخ، ولفظة **جسم** التي تطلق على السماء والأرض والإنسان والحيوان، وكل ما له ثقل ويشغل حيزا؛ فقوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ ﴾ (الحديد: ١) ورد فيه **لفظ متواطئ** يدل على العموم هو لفظ "ما" التي تعني هنا الإنسان والملائكة والحيوان والجماد ... إلخ[2].

ويجب هنا التنويه إلى أن المفسر للنص القرآني يجب أن يأخذ في حسبانه أن اللفظ المفرد من حيث الدلالة ينقسم إلى سبعة أقسام فصلها الأصوليون تفصيلا نوردها بإيجاز[3]:

---

(1) إعجاز الكلمة القرآنية: دراسة أسلوبية بلاغية، عبد الحميد هنداوي، دار العلياء، القاهرة، ط 1، 2013، ص 77.

(2) وذكر هذا الآمدي إجماعا؛ قال: "وإلا؛ أي وإن لم تتفاوت أفراد الكُلي فهو متواطئ (أي اللفظ)، لأنه الذي تتساوى أفراده باعتبار ذلك الكلي الذي تشاركت فيه؛ كالإنسان بالنسبة إلى أفراده؛ فإن الكلي فيها – وهو الحيوانية والناطقية لا يتفاوت فيها بزيادة ولا نقص؛ وسُمي بذلك من التواطؤ، وهو التوافق؛ وذلك لتوافق أفراده في معناه. راجع في ذلك: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي (سيف الدين علي بن يوسف)، 17/1، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي بيروت، ط 2، 1986. وانظر تفصيل الكلام على المتواطئ في: حاشية العطار على شرح الجلال "المحلى على جمع الجوامع"، حسن بن العطار الشافعي، دار الكتب العلمية، د.ت، 274/1–275. وانظر أمثلة أخرى في: إعجاز الكلمة القرآنية،عبد الحميد هنداوي، مرجع سابق، ص 79.

(3) يقول الآمدي في اللفظ المفرد: "إما أن تكون دلالته لفظية أو غير لفظية، واللفظية إما أن تعتبر بكمال المعنى الموضوع له اللفظ، أو إلى بعضه؛ فالأول **دلالة المطابقة**؛ كدلالة لفظ الإنسان على معناه، والثاني **دلالة التضمن**؛ كدلالة لفظ الإنسان على ما في معناه من الحيوان أو الناطق، والمطابقة أعم من التضمن لجواز أن يكون المدلول بسيطا لا جزء له"، الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، حـ51/1. وهذه التقسيمات متفرقة في كتب أصول الفقه؛ انظر على سبيل المثال: المستصفى من علم الأصول، للإمام الغزالي، تحقيق عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية، ط 2، 2010، 310/1. ومعيار العلم في فن المنطق، للإمام الغزالي، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1961، ص 16. وراجع أمثلة أخرى عند عبد الحميد هنداوي، مرجع سابق ص 78.

1- **المنفرد:** وهو أن يتوحد اللفظ ويتوحد المعنى؛ مثل لفظ الجلالة **الله**؛ فإن لفظه واحد ومدلوله (معناه) واحد أيضا، ومثله **الصمد**.

2- **المشترك:** وهو أن يكون اللفظ واحدا والمعاني متعددة؛ مثل لفظ العين: قد تكون العين الباصرة أو عين الماء أو بمعنى الجاسوس، ولفظ القُرء الذي يحتمل الحيض أو الطُّهر.

3- **المتواطئ:** وقد ذكرنا له مثالا فيما سبق.

4- **المترادف:** وهو أن يتعدد اللفظ ويكون المعنى واحدا، مثل الليث والهزبر والسبع والورد، فكلها تدل على الحيوان المعروف بالأسد، ومثل صفات الصلهب والشوذب الدالة على الطويل من الناس.

5- **المتباين:** وهو ما تعدد لفظه وتعدد مدلوله، مثل الأبيض والأسود، والوجود والعدم، والسماء والأرض، والرجل والمرأة، ومحمد، وكاتب، ...إلخ. وهو أغلب ألفاظ اللغة.

6- **الحقيقة:** وهو اللفظ المستعمل فيما وُضع له أولا في اللغة؛ مثل الأسد إذا أستُعمل للدلالة على معنى الحيوان المفترس. والحقيقة اللغوية تنقسم إلى:

- **حقيقة لغوية وضعية:** وهي الموضوعة ابتداءً من قِبل أهل اللغة للدالة على معنى معين؛ مثل لفظ الرجل للذكر البالغ، وأسد للحيوان المفترس.

- **حقيقة لغوية منقولة:** وهي الموضوعة ابتداء لمعنى معين ثم نقله أهل اللغة أو الشرع إلى معنى آخر، وبذلك يكون اللفظ هنا إما **حقيقة لغوية عرفية أو حقيقة لغوية شرعية**، وهنا يجب أن يتنبه المفسر إلى طائفة كبرى من هذه الألفاظ المنقولة الدلالة حسب السياق القرآني الواردة فيه.

7- **المجاز:** وهو اللفظ المستعمل في غير ما وُضع له أولا في اللغة بقرينة تمنع إرادة الحقيقة؛ مثل لفظ **رقبة** في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ... ﴿٩٢﴾﴾ (النساء: ٩٢)؛ فالاستعمال هنا على سبيل المجاز للدلالة على العبد المملوك الذي أطلق عليه رقبة، لأنها جزء من العبد، لتكون علاقة المجاز هنا **الجزئية**، ومثل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ ... ﴿٣٦﴾﴾ (يوسف: ٣٦)؛ حيث الخمر هنا مستعملة مجازا للدلالة على العنب ... إلخ.

ولذلك قال كثير من العلماء إن كل لفظ في القرآن الكريم وُضع لدلالة خاصة وكل كلمة تحمل معنى جديدا، بل إنها تحمل ما لا يُحصى من المعاني التي تستنبط حسب ما يفتح الله به على أهل كل عصر،

واستشهد بعضهم بقوله تعالى: "قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم" (الحجرات: 14) للدلالة على قاعدة دعوة القرآن إلى عدم استخدام لفظ مكان آخر[1].

• **ثالثا – الوحدات المعجمية وتآلفها الدلالي على مستوى التركيب القرآني عموما (نماذج تطبيقية منوعة) :**

أولا– ألفاظ العموم والشمول: تأمل الدقة القرآنية التركيبية في استخدام الوحدات المعجمية في جملة واحدة كما في قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٧٣ ﴾ (الحجر: ٣٠)؛ فلفظ **كل** يدل على الشمول والإحاطة، ولفظ **أجمع** يدل على الضم والاجتماع؛ فالأول لتأكيد معنى الوحدة في الفاعل، والثاني لتأكيد معنى الوحدة في الفعل، وهما معا لإحكام البيان في صفة السجود وهيئته؛ **فكل تدل على عموم الامتثال، وأجمعون تدل على سرعة الاستجابة؛ فالتأكيد بكل لإفادة أن الجمع امتثل كفرد واحد في امتثال الفعل، والتأكيد بأجمع لإفادة أن الجمع صار فردا واحدا في حركة الفعل**[2]. وانظر كذلك إلى الدقة في قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩ ﴾ (الحجر: ٥٩)؛ فلم يقل **كل**، لأن المقام مقام إحاطة وشمول في هيئة الفعل وحركة الزمن؛ فالنجاة تحققت لآله في لحظة زمنية واحدة، هي لحظة الهلاك نفسها بالصيحة على المجرمين، ولذلك لم يستعمل **كل** في هذا السياق، لأن النجاة لم تشمل كل أفراد قومه، فامرأته هلكت معهم: ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٦٠ ﴾ (الحجر: ٦٠)

ثانيا– تأمل كذلك لفظة "الافتراس"؛ فمعناها الوضعي المعجمي هو القتل فحسب، ففرس: دق عنق، ولذلك قال إخوة يوسف: (أكله الذئب)، أي أتى على جميع أجزاء جسده، حتى لا يطالبهم يعقوب برؤية الجثة، وهو من دقة التركيب القرآني الذي يخيل للقارئ أحداث القصة وكأنك تسمعهم يقصون على أبيهم الأحداث بما تنويه حتى نفوسهم.

ثالثا– وكذلك الفارق المعجمي المهم بين البث والحزن؛ فالبث لغة الهم الشديد، وسمي كذلك لعدم قدرة صاحبه على تحمله، لأن الأصل في البث لغة التفريق والانتشار، قال تعالى: ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ ﴾ (الواقعة: ٦)، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ ﴾ (القارعة: ٤). أما **الحزن** فهو الغِلظة والخشونة؛ فهو غليظ يأخذ باللب ويتأبى على السلوان؛ ولذلك ففي آية يوسف قال

(1) الإعجاز القصصي في القرآن الكريم، سعيد عطية مطاوع، دار الآفاق العربية، ط 1، 2006، ص 156.

(2) المرجع السابق، ص 157.

تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (يوسف: ٨٦)، فإن العطف هنا هو **عطف تغاير لا ترادف**، حيث جمع بينهما في الآية ليجمع بين نوعي الهم الذي عليه يعقوب عليه السلام: **الحزن القديم والبث الجديد**[1].

رابعا– الفرق بين الخشية والخوف؛ وهو من الفروق المعجمية الدقيقة الملهمة لتصور المعنى وتجسُّدِه بعقل القارئ للنص القرآني المعجز الفرق بين **الخشية والخوف**؛ **فالخشية** تكون من عِظم المخشي وإن كان الخاشي قويا، أما **الخوف** فيكون من ضعف الخائف وإن كان المخوفُ أمرا يسيرا لا وزن له؛ **فالخوف** شعور يتعلق بالضرر المجهول المنتَظَر، **والخشية** حالة تنشأ عند وقوع الضرر المنظور[2]، ولذلك قال تعالى عن العلماء: ﴿ ... إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (فاطر: ٢٨)، **لأن العلماء متيقنون من عظمة الله سبحانه ويعلمون قدرته وجلاله.**

خامسا– الكفل والنصيب: قال تعالى: ﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٌ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (النساء: ٨٥). فالكِفلُ هو النصيب عموما، لكن استعماله في السياق التركيبي يكسبه دلالة إضافية؛ فالكفل هو الضِّعف على شرط معين كما سيتبين، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الحديد: ٢٨)؛ بمعنى ضعفين من رحمته وثوابه، وهو الوزر كذلك، كما في آية النساء، بمعنى "يكن له وزر من السيئة"، ويأتي بمعنى الضم والجمع، كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (آل عمران: ٤٤)، وقال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ... ﴿٣٧﴾ ﴾ (آل عمران: ٣٧)، بمعنى التربية، ويأتي بمعنى الرضاعة: قال تعالى: ﴿ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

(1) الإعجاز القصصي في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 159. وانظر للمعاني المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(2) الإعجاز القصصي، المرجع السابق، ص 161.

(القصص:12)؛ أي يُرضعونه[1]. والكفل بالنبطية النصيب كما ورد في معجم القليبي، مما ذكره الواسطي، وهو بالحبشية **الضِّعف**، كما أخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري؛ حيث قال الأشعري: إن كفلين بمعنى نصيبين أو ضعفين[2].وعلى العموم فإن المعنى يدل على أن النصيب يكون دوما للخير . وتؤيد العامية المصرية هذا . والكفل قد يُخصص للشر أو للخير، بدليل التقابل في آية النساء، ويكون **مثنى اللفظ (كِفلين) مُخَصِّصًا دِلاليا يُخرج المعنى إلى مدلول الضِّعفين** كما ورد في آية الحديد: "يؤتكم كفلين من رحمته"، وهي عناية تركيبية مهمة في انتقاء اللفظ المعجمي داخل السياق.

سادسا- الهبوط والنزول: الهبوط في اللغة هو نزول يعقبه إقامة، فإذا قلتَ هبطنا مكان كذا كنت تعني نزلنا فيه للإقامة، ونلاحظ ذلك في قوله تعالى: ﴿ ...ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ ﴿٦١﴾ ﴾ (البقرة: ٦١)، وقوله سبحانه: ﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (البقرة: ٣٨)، بمعنى انزلوا الأرض للإقامة فيها؛ فلا يقال هبط الأرض إلا إذا استقر فيها، ويقال نزل وإن لم يستقر بمكان، فعلى المفسر أن يعتد بهذه الذخيرة من الملاحظة لخطورة المعنى المترتب من هذه الوحدات.

سابعا- الفقير والمسكين: المسكين في اللغة هو الذي له البُلغة من العيش؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ (الكهف: ٧٩)؛ فأثبت لهم السفينة، ويجوز أن يكون الفقير مثل المسكين في البُلغة والقدرة عليها، أو أن يكون دون المسكين في ذلك كما يرى الثعالبي[3].

ثامنا- المادة المعجمية الاشتقاقية للفعل في باب المفعول المطلق: وهو من الأمثلة المهمة عن دور الدلالة في التأثير على اختيار المادة الاشتقاقية للفعل خلافا للأصل النحوي فيه؛ قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ ﴾

(1) الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، للدامغاني، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ط 1، 2012، 180/2-181.

(2) التحفة القليبية في حل الألفاظ القرآنية، لموسى بن محمد بن يوسف القليبي، تحقيق محمد محمد داود، طبعة مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2012، ص 196. والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، 228/8.

(3) فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة المصرية، ط 1، 2007، ص 85.

(النساء: ٦٠)؛ فهناك عدول في الآية الكريمة في قوله تعالى (ضلالا)، ولم يقل (إضلالا) حسب الأصل؛ إذ كان يستدعي استخدام الفعل (يضل) أن يرد للمصدر (إضلال)، ولكن الآية الكريمة اختارت اللفظ (ضلالا). وقد فسر أحد الباحثين ذلك تفسيرا مقبولا دلاليا، بل على مستوى العقيدة أيضا؛ إذ إن الله سبحانه وتعالى أراد أن يجمع بين إرادة الشيطان وفعل الإنسان؛ فالشيطان يبدأ المرحلة والبشر يتمونها؛ فالشيطان يريد منهم المشاركة في ابتداع الضلال والسير بهدى نفوسهم الضالة، ولو أنه قال يُضل إضلالا، لكان الشيطان وحده هو المسئول عن ذلك ولم يكن لبني آدم دور في هذا الضلال[1]. ويتفق الباحث مع وجهة النظر هذه في التحليل، ونضيف إلى ذلك مفهوم أن الثواب والعقاب سوف ينتفي في هذه الحالة، ما دام أن الإنسان ليس له ذنب في الضلال والأمر ليس بيده. من ذلك نرى أن مادة الفعل هنا كانت موجها لهذه الدلالة التي تعد – في رأيي – أساسا من أسس الاعتقاد الإسلامي، والإيمان بالغيبيات، أو الميتافيزيقا كما يقول أهل الفلسفة.

تاسعا – التوجيه النحوي للالتقاء المعجمي في خضم الدلالة: حيث تتضافر عناصر المنطق والنحو والدلالة لبيان مفهوم عقدي خطير من الآية، وقد أورد ابن هشام رحمه الله مثالا لذلك، وهو رأيه في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (العنكبوت: ٤٤)؛ ذهب ابن هشام إلى أن السماوات في هذه الآية (مفعول مطلق)، لأن المفعول المطلق . في رأيه . هو ما يقع عليه اسم المفعول بلا قيد، نحو قولك: ضربت ضربا، والمفعول به ما لا يقع عليه ذلك إلا مقيدا بقولك (به)، كـ (ضربت زيدا) . أي أوقعت به الضرب . وأنت لو قلت السماوات مفعول كما تقول الضرب مفعول كان صحيحا، ولو قلت السماوات مفعول بها كما تقول زيد مفعول به لم يصح. ثم يذكر إيضاحا مهما من ناحية التفسير الدلالي؛ يقول: "المفعول به هو ما كان موجودا قبل الفعل الذي عمل فيه، ثم أوقع الفاعل به فعلا، والمفعول المطلق ما كان الفعل العامل فيه هو فعل إيجاده. والذي غر أكثر النحويين في هذه المسألة أنهم يمثلون المفعول المطلق بأفعال العباد، وهم إنما يجري على أيديهم إنشاء الأفعال، لا الذوات، فتوهموا أن المفعول المطلق لا يكون إلا حدثا، ولو مثلوا بأفعال الله تعالى لظهر لهم أنه لا يختص بذلك، لأن الله تعالى موجد للأفعال والذوات جميعا[2]. ومن هنا نلاحظ دور **المكون الدلالي في استنباط**

(1) العلاقات السياقية لظاهرة العدول في العربية، عمر خليل، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، م (24)، ع (3)، 2010، ص 980.

(2) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، طبعة مكتبة الآداب، ط 1، 2009، ص ص 532 533. وراجع فيما سبق القيود المعجمية على التركيب النحوي كما بيناها عند تمام حسان.

المدلول الخاص بالآية، والانطلاق منه إلى فهم أشمل للعقيدة الإسلامية؛ فمجرد فهم أن هذه الوحدة المعجمية لا تصلح في سياق التركيب أن تكون ضمن باب نحوي معين أدى إلى استنباط فهم فلسفي عقدي شامل لمفهوم الخلق والإيجاد، وهو ما يجب على المفسر أن يراعيه في عدته التحليلية التفسيرية.

عاشرا- حُسن انتقاء أفعال الحدث الدلالي ومنطقية ترابطها: ومن أمثلة ذلك:

1- **القتل والغلبة**: قال تعالى: ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (النساء: ٧)، لم يقل سبحانه فيُقتل أو يَقتل، بمراعاة العطف بين دلالة الفعلين والأثر المترتب، أو ما يُعرف ذهنيا بالترابط المنطقي لدلالة أفعال الحدث، لأن المسلم ليس هدفه القتل، وغاية خلقه ليست لهذا الأمر ألبتة، إنما هو حدث فُرض عليه ووُضع فيه وضعا، ولم يقل كذلك **فيُغلب**، لأنه حتى بموته في سبيل الله لا يكون مغلوبا أبدا، فقد انتصر لدين الله وفاز بإحدى الحُسنيين كما نعرف. والطريف هنا أن المؤمن قد يَغلب بدون قتل أصلا، وقد يَقتل ولا يَغلب أيضا، ولذلك كان التعبير القرآني غاية في الدقة التصويرية.

2- **العلم والرؤية**: قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (التوبة: ١٠٥)، وفي آية سورة محمد: قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ (محمد: ٣٠)؛ في الأولى قال (سيرى) لاشتراك النبي (ص) والمؤمنين في فعل رؤية الأعمال؛ فهنا عنصر إشهاد عام، بدليل قوله سبحانه في موضع آخر: ﴿ ... وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ (آل عمران: ١٤٠)، أما في الثانية فقال (يعلم) لتفرده سبحانه بالاطلاع على النوايا والمقاصد؛ فـ "والله يعلم أعمالكم" تذييل، في عمومه خطاب لجميع الأمة، وهو رغم هذا كناية عن لازمه من **الوعيد** لأهل الأعمال السيئة، **والوعد** لأهل الأعمال الصالحة، **والتنبيه** لأهل النفاق بأن الله يوشك أن يفضحهم، بدليل قوله سبحانه في السياق نفسه قبل الآية: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾ (محمد: ٢٩)، واجتلاب المضارع هنا في قوله "يعلم" للدلالة على أن علمه سبحانه بذلك مستمر.

3- **دقة استخدام اللفظ المؤكد للفعل**: قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾ (غافر: ١١)، لم يقل سبحانه: مرتين.

ومن المعلوم نحويا أن الصفة إن كانت عددا تنوب عن المفعول المطلق؛ فالأصل في الآية: ربنا أمتنا ميتتين اثنتين، وقد استخدم المولى عز وجل العدد لإفادته من حيث الدلالة شيئا محققا لا ثالث له، ولو استخدم (مرتين) لتوهم السامع وجود ميتة ثالثة، وهذا مخالف للعقيدة والواقع الذي أخبرنا به. ووفقا لنظام المعاني المتكامل في القرآن الكريم الذي تحدثنا عنه في بداية البحث، **ودور الإحالة النصية الداخلية لفهم الآيات**، يرى ابن القيم أن تفسير هذه الآية موجود في سورة البقرة: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (البقرة: ٢٨)؛ فقد كانوا أمواتا وهم نُطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم الله بعد ذلك في الدنيا، ثم أماتهم ليدخلوا عالم البرزخ، ثم يحييهم يوم النشور[1].

حادي عشر– أتم وأكمل: أتم في اللغة تقتضي الزيادة، **وأكمل** لا تقتضي ذلك، ولذلك نلاحظ الدقة القرآنية في الإتيان بالفعلين في سياق تركيبي واحد في قوله تعالى: ﴿ ... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ...﴿٣﴾ ﴾ (المائدة: ٣)؛ بمعنى أن نعم الله تكون دوما في ازدياد لا تنقطع، أما الدين بما به من قوانين وشرائع فقد اكتمل وأصبح دينا كاملا لا زيادة بعده ولا إحداث.

ثاني عشر– توجيه المعجم للصورة من خلال خصوصية اللفظ للدلالة على معنى محدد: ومثاله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الأعراف: ٤٠). وصل التفسير العلمي المتفحص إلى أن معنى **الجمل** هنا هو حبل السفينة السميك، وأن هذه اللفظة لها جمع وحيد في القرآن الكريم في آية سورة المرسلات: قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ (المرسلات: ٣٢ – ٣٣)؛ **فالقصر** من معانيه المعجمية في بعض اللغات: [الحية الضخمة]، **وجِمَالَتٌ** جمع الجمل، وهو الحبل السميك، وصُفر لون النار؛ لتتضح الصورة: فشرر جهنم مثل الحيات الضخمة التي يبلغ سمكها سمك حبال السفينة التي ترسو من خلالها، لنرى أن التأمل في كتاب الله تعالى يقود أحيانا إلى فهم متجاوز لفهم الأقدمين، ما دام أنه لا يخالف أصولا عقدية مستقرة، ونلاحظ أن المعنى مقبول ومنطقي يتماشى مع سياق أكثر من آية تعضده ضمن آيات الذكر الحكيم، بل إنه الأقرب إلى التصوير

(1) الروح، لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد أنيس عبادة، ومحمد فهمي السرجاني، مكتبة نصير، القاهرة، د.ت، ص 52.

المراد بالآيات، وليس القصر كما فسره المفسرون بدلالته الوضعية من أن المقصود: القصر، ذاك البناء المشيد؛ فالقرآن يستخدم الدلالة المعجمية بكل طاقاتها ومعانيها لتوضيح الصورة وتمثيلها في الذهن أيما تمثيل.

ثالث عشر- الجدال والحجاج: المطلوب من الحجاج ظهور الحجة، والمطلوب بالجدال الرجوع عن المذهب، فإن أصله من الجدل، وهو شدة الفتل، ومنه (الأجدل) أي الصقر[1]، لشدة قوته من بين الجوارح [الطيور الكاسرة]، ولذلك قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (هود: ٣٢)، وقوله سبحانه: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴿١٢٥﴾ ﴾ (النحل: ١٢٥)، وذلك أن دأب الأنبياء عليهم السلام كان ردع القوم عن المذاهب الباطلة وإدخالهم في دين الله ببذل الجهد والاجتهاد في إيراد الأدلة والحجج. وقد يُراد بالجدال مطلق المخاصمة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ (النساء: ١٠٩).

رابع عشر- الجسم والجسد[2]: **الجسم** يُطلق لغةً على ما فيه روح وحركة، ولذلك يقولون في الفيزياء: جسم متحرك، أما **الجسد** فهو ما ليس فيه روح أو حياة، ولذلك نلاحظ قوله تعالى: ﴿ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ **أَجْسَامُهُمْ** ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ ... ﴿٤﴾ ﴾ (المنافقون: ٤)، مقابلا لقوله عز وجل: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا **جَسَدًا** لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ (الأعراف: ١٤٨) . وشبيه بذلك لفظة **الميِّت** . بالتشديد . التي تعني ما به الروح ولا زال حيا، ولفظة **ميْت** . بالتسكين . التي تعني المخلوق الذي مات فعلا وخرجت روحه[3].

خامس عشر- الكره والكُره: **الكُره** بالضم يدل على المشقة، **والكَره** من الإكراه؛ وهو ما أُجبر عليه الإنسان، يقول سبحانه: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾

(1) راجع المعاني في المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(2) لطائف قرآنية، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط 5، 2013، تفصيل الآيات، ص ص 87-89.

(3) راجع الأمثلة التحليلية والنماذج، المرجع السابق، ص ص 63-66.

(البقرة: ٢١٦)، أي مشقة لكم، وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ... ﴾ (الأحقاف: ١٥)، أي بمشقة وعناء، وتأمل قوله سبحانه: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة: ٥٣)؛ بمعنى طائعين أو مُكرهين، وقال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (آل عمران: ٨٣)، ويقول أهل اللغة: لا تقوم إلا على كُره: أي بمشقة مُكرهًا؛ فالضمة أقوى من حيث الحركة، وتستعملها العرب للمعنى الأقوى [المشقة]، والفتحة خفيفة الحركة، تُستعمل في المعنى الأقل قوة؛ **فثقل اللفظ وخفته يتوازن مع المعنى الدلالي للسياق**. والحاصل أن الكُره **مشقة مرغوبة**؛ فحمل للمرأة مشقة لكنها ترغب به وتحبه، والمؤمن يحب القتال في سبيل الله رغم مشقته(1)، وقد فصل الراغب الأمر: الكَره: المشقة التي تنال الإنسان من الخارج، فيما يُحمل عليه بإكراه، والكُره: ما يناله من ذاته وهو يعافه، وهو على ضربين: ما يُعاف من حيث الطبع، وما يُعاف من حيث العقل والشرع، ولهذا يصح أن يقول الإنسان في الشيء الواحد: إني أريده وأكرهه؛ بمعنى إني أريده من حيث الطبع، وأكرهه من حيث العقل أو الشرع، أو العكس(2).

سادس عشر- <u>السد والردم في سورة الكهف</u>: السد كما أراده القوم هو الحاجز الفاصل بينهم وبين يأجوج ومأجوج، لكن ذا القرنين رأى بناء **ردم**، ونورد هنا ملخص ما قاله الإمام الشعراوي رحمه الله من أحد أحاديثه وخواطره الفريدة(3): السد الأصم يعيبه أنه إذا حصلت رجة في ناحية منه ترج بالتبعية الناحية الأخرى، لذا فضل ذو القرنين الردم؛ بمعنى أن يبني حائطا من الأمام وآخر من الخلف، ثم يضع بينهما ردما من التراب؛ ليكون السد مرنًا لا يتأثر إذا ما طرأت عليه هِزَّةٌ أرضية مثلا، فيعمل التراب مثل **السوست Sliders** التي تمتص الصدمات، وهو ملحظ فيزيائي مهم ودقيق هندسيا نلاحظه من خلال هذين اللفظين

(1) لطائف قرآنية، المرجع السابق، ص 86، وهناك تفصيل يُنظر في موضعه.

(2) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، د.ت، مادة: كره.

(3) الكلام على لسان الشعراوي رحمه الله، والحلقة على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=wleqYYcah3A، كما أنه موجود في تفسيره المجموع بعد وفاته الذي نشرته دار مؤسسة أخبار اليوم المصرية تباعا، 162/11.

المعجزين. والردم لغة وضع الطبقات بعضها فوق بعض، وقيل الردم أبلغ من السد؛ إذ السد ما يُسد به، والردم وضع الشيء على الشيء من حجارة وتراب ونحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع.

سابع عشر- القساوة والمتانة: **القساوة** هي مقاومة قوى الضغط، **والمتانة** مقاومة قوى الشد، ولذلك يقولون الألماس أقسى الأحجار فهو **صلد**، بينما الحديد يتصف بالمتانة فهو **صلب**. ولذلك يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ...﴿٧٤﴾ (البقرة: ٧٤)؛ ليستخدم القرآن اللفظ الأقوى للدلالة على فساد قلوبهم وعدم تقبله للّين أو التغيير.

ثامن عشر- الفعل والعمل: الفعل يكون مرة واحدة، والعمل هو تكرار الفعل [المواظبة]، ونتبين ذلك من قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ ﴾ (الفيل: ١)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٩ ﴾ (الشعراء: ١٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢ ﴾ (الأنبياء: ٦٢)؛ فالواقعة هنا حدثت وانقضت مرة واحدة. وتأمل قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴿٨﴾ (الزلزلة: ٧ – ٨)، لأنه لا يُتصوَّر أن يكون إتيان فعل الخير أو فعل الشر مرة واحدة فقط، فالنفس جُبلت على تكرار الفعل، وفي آية أخرى يتضح تدوين للملائكة لأي فعل يقوم به الإنسان مباشرة، لأنهم يراقبون عن كثب: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ ﴾ (الانفطار: ١١ – ١٢)؛ فهنا أي فعل تقوم به يُدوَّن مباشرة، فإن كررته فهو عملك، والحساب يكون عن العمل الذي هو مُجمل الأفعال، والله تعالى أعلم.

تاسع عشر – الصب والسكب: **السكب** هو الصب المتتابع، وقد ورد في موضع واحد في كتاب الله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١ ﴾ (الواقعة: ٣٠ – ٣١)، وهنا في معرض الحديث عن نعيم الجنة، أما **الصب** ففيه القوة والعنف؛ تأمل قوله تعالى: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ ﴾ (الفجر: ١٣)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٨ ﴾ (الدخان: ٤٨)؛ فالقوة والعنف مع الصب، والهدوء والسلامة مع السكب.

عشرون – النجس والنفجر (تحليل منطقي تركيبي):

قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ... ۝٦٠ ﴾ (البقرة: ٦٠)، وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب

بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ... ﴿١٦٠﴾ (الأعراف: ١٦٠). تفيد معاجم العربية أن **مادة (فجر)** تدل على التفتح في الشيء، ومن ذلك سُمي الفَجر؛ لانفجار الظلمة عن الصبح. ومنه كذلك انفجار الماء: وهو تفتحه وخروجه من محبسه؛ والفُجْرَة: موضع تفتح الماء. ثم تُوسِّع في هذه المادة حتى سُمي الانبعاث والتفتح في المعاصي: فجورا. وسُمي الكذب فجورا. وكثر هذا الاستعمال حتى سُمي كل مائل عن الحق: فاجرا، ثم خُص لفظ (الفجور) بالزنا واللواط وما أشبه ذلك من المعاصي.

أما **مادة (بجس)** لغة فتدل على الانشقاق؛ قال الخليل: "البجس: انشقاق في قُربة، أو حجر، أو أرض ينبع منه الماء، فإن لم ينبع فليس بانبجاس"؛ وعليه قالوا: السحاب يتبجس بالمطر؛ أي: ينشق فيخرج منه الماء. ثم توسعت العرب في دلالة هذه المادة، فقالت: رجل متبجس، أي: كثير خيره.

وقد ذكر الراغب الأصفهاني في المفردات بهذا الصدد أن: "الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار يُستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع، ولذلك قال عز وجل: {فانبجست منه اثنتا عشرة عينا}، وقال في موضع آخر: {فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا}، فاستعمل حيث ضاق للمخرج (العين) اللفظين، وقال تعالى: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الكهف: ٣٣)، وقال: ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾ (القمر: ١٢)، ولم يقل بجسنا"[1]؛ ومراد الراغب هنا: أن لفظ (الانبجاس) أخص من لفظ (الانفجار)، **فكل انفجار انبجاس، من غير عكس**؛ فلما كان خروج الماء في آيتي البقرة والأعراف من مكان ضيق، وهو (العين) جاء باللفظين معا: {فانبجست}، و{فانفجرت}؛ لاستعمال لفظ (الانبجاس) فيما يخرج من مكان ضيق، واستعمال لفظ (الانفجار) فيما يخرج من مكان ضيق وواسع معا. ولما كان خروج الماء من مكان واسع، كالنهر والبحر، جاء بلفظ (الانفجار) فحسب، كما في قوله سبحانه: {وفجرنا خلالهما نهرا}، وقوله تعالى: {وفجرنا الأرض عيونا}؛ لاستعمال لفظ (الانفجار) فيما يخرج من مكان واسع[2].

وكثير من أقوال المفسرين أن **الانبجاس: أول خروج الماء؛ والانفجار: اتساعه وكثرته، وأن الانبجاس خروجه من الصلب، والآخر خروجه من اللين**؛ يعني أن الانبجاس يكون في شيء قاس، كالحجر والصخر،والانفجار يكون في شيء لين، كالأرض الرخوة. وتأسيسا على ما تقدم من فروق لغوية بين

(1) راجع المفردات للراغب، مادة "بجس".

(2) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادتا **فجر**، و**بجس**، بتصرف واختصار.

اللفظين، نتبين وجها بلاغيا للآية؛ حيث إنه لما كان طلب السُّقيا في سورة الأعراف من بني إسرائيل، ناسبه الإتيان بلفظ يدل على الابتداء، فقال جوابا لطلبهم: {فانبجست}، الدال على ابتداء خروج الماء؛ ولما كان طلب السُّقيا في سورة البقرة من موسى عليه السلام غاية لطلبهم، لأنه واقع بعده ومرتب عليه، قال إجابة لطلبه: {فانفجرت}، الدال على الكثرة والاتساع؛ **فناسب الابتداءُ الابتداءَ، وناسبت الغايةُ الغايةَ.**

وقريب من هذا، تعليل بعض أهل العلم المعاصرين، ومنهم الإمام الشعراوي[1]، اختلاف اللفظين في الآيتين، ما خلاصته أن: (الانفجار) أبلغ، لأنه يعني انصباب الماء بكثرة، تماما كالفرق بين "سكب" و"صب" في سياق آيات أخرى من الكتاب الكريم كما بيَّنا آنفا، أما (الانبجاس) فهو ظهور الماء، ولو كان قليلاً، وهو يسبق الانفجار، لأنه أوله، وقد أتى بـ (الانفجار) في سورة البقرة، لأنه استجابة لاستسقاء موسى عليه السلام: {وإذا استسقى موسى لقومه}، ولذلك أمرهم في آية البقرة بالأكل والشرب، وأتى بـ (الانبجاس) في سورة الأعراف، لأنه استجابة لطلب بني إسرائيل استسقاء موسى عليه السلام لهم: {وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه}؛ ولذلك أمرهم بالأكل فحسب.

وقد أرجع السيوطي في "الإتقان" اختلاف اللفظين إلى سياق الآيتين، لا إلى دلالتهما اللغوية، فقال: "في البقرة: {فانفجرت}، وفي الأعراف: {فانبجست}، لأن (الانفجار) أبلغ في كثرة الماء، فناسب سياق ذكر النعم التعبير به" [2]؛ يقصد بذلك: أن سياق الآية في البقرة، جاء فيه ذكر النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (البقرة: ٥٧)، وقوله أيضا: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (البقرة: ٥٨)، غير أن هذا التعليل منتقض من جهة أن السياق الذي جاءت فيه آية الأعراف فيه أيضا ذكر للنعم؛ قال تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ... ﴿١٦٠﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦٠).

(1) راجع تفسير الشعراوي، مؤسسة أخبار اليوم، 216/5.

(2) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، طبعة مجمع الملك فهد، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، د. ت، 176/1.

بقي أن نشير هنا إلى لفتة بلاغية في الآيتين، وهي أن كلا اللفظين (الفعلين) في الآية دخل عليه حرف (الفاء). وقد توقف المفسرون عند هذه (الفاء)، وبيّنوا موقعها، والمراد منها، فقالوا ما مختصره: (الفاء) في الآيتين هي **الفصيحة**، سميت بذلك لأنها تفصح عن فعل محذوف؛ إذ التقدير: فضرب {فانفجرت}، وفضرب {فانبجست}؛ قال ابن جني: " فاكتفى بالمسبَّب الذي هو (الانفجار) من السبب الذي هو (الضرب)، وإن شئت أن تعكس هذا فتقول: اكتفى بالسبب الذي هو القول من المسبب الذي هو الضرب."[1] وحَذْف الفعل في القرآن كثير؛ منه قوله سبحانه: ﴿ ...فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ..﴿١٩٦﴾ ﴾ (البقرة: ١٩٦)، وتقديره: فحلق ففدية. ونحوه أيضا قوله سبحانه: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ (الشعراء: ٦٣)؛ أي: فضرب فانفلق. من هذا التحليل نرى كيف أن المفسر للنص قد يتوقف عند مفردة واحدة متأملا تداخلها وتراكبها ومحيطها المعجمي واستعمالاتها في لغة العرب؛ ليفهم كيفية وضعها في السياق التركيبي للذكر الحكيم، وكيف أنها بينت معنى عميقا وموقفا تاريخيا وصورت أحداثا قصصية بمجرد تراكبها اللفظي داخل الجملة القرآنية المعجزة، ولذلك كان الحس اللغوي أهم عدة يتغياها المفسر والمحلل للنص الكريم، لتوضيح مدلول اللفظ داخل الآية والمدلول العام من السياق اللغوي، كما سنبين في أمثلة أخرى.

حاد وعشرون- الشهوة واللذة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ (الزخرف: ٧١)، أولا نستدل من استقراء كثير من الآيات أن الجمع **أعين** يأتي للدلالة على العين المبصرة، أما الجمع **عيون** فهو من عيون الماء؛ حيث نلاحظ في آيات كريمات أخرى ذلك المدلول، وسيأتي كلام عن ذلك لاحقا؛ مثل قوله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الدخان: ٢٥ – ٢٦)، ثم إنه سبحانه قد خصَّ **اللذة** بالأعين، و**الشهوة** بالنفس، لأن الشهوة هي الشق المعنوي للذة؛ فاللذة محسوسة مادية، مثل شهوة الطعام التي تتحول إلى لذة بتناوله؛ أي **بمعاينة الأثر فعلا قائما محسوسا**؛ فالشهوة مطلب (رغبة)، واللذة هي تحقيق هذا المطلب؛ فكلاهما وجهان عملة واحدة: أحدهما إرادة والآخر تملُّك واستحواذ. والشهوة محمودة أو مذمومة؛ يقول تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ

(1) الخصائص، لابن جني، مرجع سابق، 174/3.

وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ (مريم: ٥٩)، وهي في هذا الجانب تكون اتباعا للهوى.

ثالث وعشرون- **المعاني المعجمية للجذر (هـ / ل / ك) في القرآن الكريم:** هلَكَ في القرآن الكريم تَرِدُ بمعنى **إهلاك الاستئصال**؛ أي الإماتة بعذاب، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ (المرسلات: ١٦) وقوله تعالى: ﴿ ...أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ... ﴿١٥٥﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥٥)، وكقوله: ﴿ ... فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأحقاف: ٣٥). وتأتي هَلَكَ بمعنى **مُطلَق الإماتة** -بِلا عذاب- أي إماتة نَاسٍ بعْدَ ناسٍ، فيَحْصُل للمُؤمِن والكافِر، كقوله: ﴿ ... إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ... ﴿١٧٦﴾ ﴾ (النساء: ١٧٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (القصص: ٨٨)، واختُلف في معنى قوله: "إلا وجهه"؛ فقال بعضهم معناه: كل شيء هالك إلا هو، وقال آخرون معنى ذلك: إلا ما أريد به وجهه، واستشهدوا لتأويلهم ذلك بقول الشاعر: أستغفر الله ذنبا لستُ مُحصِيَهُ *** رب العباد إليه الوجهُ والعملُ. وقوله تعالى: ﴿ ... حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ... ﴿٣٤﴾ ﴾ (غافر: ٣٤). قال الراغب: "هلك؛ **الهلاكُ على ثلاثة أوجه: افتِقادُ الشَّيْءِ عنك وهو عندَ غَيْرِك موجودٌ**؛ كقوله تعالى: ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الحاقة: ٢٩)، **وهلاكُ الشيء باستحالةٍ وفساد**؛ كقوله: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ (البقرة: ٢٠٥)، ويقال هلَكَ الطَّعام، والثالث **المَوْتُ**؛ كقوله: ﴿ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ ﴾ (النساء: ١٧٦)، وزاد وجها رابعا وهو **بطلان الشيء من العالم وعدمه رأسا**، وذلك المسمّى **فَناء**، المشار إليه بقوله: "كل شيء هالك إلا وجهه". وقال تعالى مُخبِرا عن الكفّار: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ ...﴿٢٤﴾ ﴾ (الجاثية: ٢٤)، ولم يَذْكُر الله الموتَ بِلَفْظِ الهلاكَ؛ حَيْثُ لم يَقْصِد الذمّ إلا في هذا الموضع، وفي قوله: ﴿ ... حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ ...﴿٣٤﴾ ﴾ (غافر: ٣٤)"[1]. وورد في "روح المعاني" عند قوله تعالى: ﴿ ...قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ ... ﴿١٧﴾ ﴾ (المائدة: ١٧): "والمراد

(1) المفردات، للأصفهاني، مرجع سابق، مادة **هلك**.

بالإهلاك الإماتة والإعدام مُطْلقاً لا عن سخطٍ وغَضَب،... وتَعميم إرادة الإهلاك مع حُصُول الغَرَض بقَصْرِها على عيسى – عليه الصلاة والسلام – لتَهْوِيل الخَطْبِ وإظْهار كَمال العَجْزِ ببيان أن الكُلَّ تَحْتَ قَهْرِهِ ومَلَكُوتِه تعالى، لا يَقْدِرُ (أحد) على دفْعِ ما أُرِيدَ به فضلاً عما أُريدَ بغيره، وللإيذان بأنَّ المسيح أسوةٌ لِسائر المخلوقات في كونِه عُرضةً للهلاك، كما أنّه أسوةٌ لَهُم في العجْزِ وعدَم اسْتِحْقاق الألوهية." وقال أبو حيان في "البحر المحيط": "....لأن الإهلاكَ بِمَعْنى الإماتة مُشْتَرك فيه الصالح والطالح". وقال الخازِنُ عند قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (الإسراء: ٥٨): "أي بالمَوْتِ والخراب... وقيل: الإهلاك في حق المؤمنين الإماتة، وفي حق الكفار العَذَاب، قال عبد الله بن مسعود: إذا ظَهَرَ الزِّنا والرِّبا في قريةٍ أذِنَ اللهُ في هلاكِها". وجاء في "التفسير الكبير": ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ (المرسلات: ١٦) هو مُطلق الإماتة أو الإماتة بالعَذاب، فإن كان ذلك هو الأول، لَمْ يكُنْ تَخويفًا للكفار، لأن ذلك أمرٌ حاصلٌ للمؤمنِ والكافر فلا يصلُحُ تَحذيرًا للكافِر، وإن كان المُراد هو الثاني، وهو الإماتةُ بالعذاب، فقوله: ﴿ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (المرسلات: ١٧ – ١٨) يقتضي أن يَكونَ الله قد فعل بكفار قريش مثل ذلك."[1]

ومعلوم أن "هلك" في اللغة العربية يقابلها في اللغة العبرية الفعل "هالخ"، ومعنى هذا أن كلا الفعلين يرجع إلى المادة السامية المشتركة "ه ل ك"، ولكن ثمة خلافا بين معنى "هلك" في العربية و"هالخ" في العبرية: إذ تدل "هلك" في العربية على الذهاب إلى العالم الآخر، ولكن الفعل العبري "هالخ" يدل على مطلق الذهاب، ومنه الذهاب إلى المدرسة والذهاب إلى العمل....إلخ؛ حيث كانت تعني سار ورحل قبلا؛ وهذا معناها في العبرية والآرامية، ولكنها أصبحت تعني في العربية "مات"، وهذا التغيير حدث بسبب التلطف في ذكر الموت، أو ما نسميه نحن "لطف التعبير" Euphemism؛ فارن رحل: أي مات. ولكنها فيما بعد أصبحت أقوى في الدلالة من مات نفسها. ولذلك استخدم فعل رحل بدلا منها. وللمقارنة مع اللغات السامية تبين أن الفعل (مات) في اللغة أقدم من الفعل (توفى)؛ والطريف أن العربية استخدمت لفظ الموت دلالة على انتهاء الحياة الدنيا؛ فالأصل في إفادة معنى الانتقال إلى البرزخ بخروج الروح هو(الموت) حسَبَ تاريخ دلالة الجذر في الساميات، حتى إننا نستخدمه في العامية كذلك (مات). ومن دقة القرآن الكريم في التعبير عن هذا المعنى [الانتقال إلى العالم الآخر] استخدامُ لفظ (الموت) لهذا المحتوى الدلالي، ولفظ [الوفاة

(1) أوردنا هنا ملخصا مختصرا لأقوال العلماء المفسرين، نقلا عن الألوسي في روح المعاني وأبي حيان في البحر المحيط والرازي في مفاتيح الغيب، لمن شاء الرجوع إلى مواضع الآيات وتفسيرها المفصل.

] للدلالة على الموت الجزئي وليس الكلي، في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الأنعام: ٦٠)، لأن النوم هو موت جزئي للإنسان في الدنيا. ويلاحظُ كذلك أن نسبة استخدام الصيغة (موت) بشتى مشتقاتها اللفظية المعجمية تفوق بكثير نسبة استخدام الصيغة (وفاة) في سياقات كثيرة من القرآن الكريم؛ **فالقرآن دل بالموت على انتفاء البنية وانتقاضها وانتقال الروح، وهو ما أُستخدم في عائلة الساميات (العبرية، والحبشية، والسريانية، والآشورية)**. ومن هذه المقدمة التحليلية النقدية ننتقل إلى موضوع غاية في الخطورة في العقيدة الإسلامية، وهو موت سيدنا عيسى عليه السلام؛ حيث بين القرآن أنه لم يمت الميتة المعهودة، بل إن الله رفعه لأجلٍ يعلمه سبحانه، ومن التحليل اللغوي التفسيري وسياق الدلالة نحاول أن نلمح ذلك ونتبينه جيدا.

• **إعجاز القرآن في الحديث عن وفاة عيسى بمعنى غير الموت (الدلالة المعجمية عاملا معنويا عقديا)**: قال جل شأنه: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ... ﴿٥٥﴾ ﴾ (آل عمران: ٥٥)، وقال تعالى: ﴿ ... فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ (المائدة: ١١٧). معلوم في اللغة أن من معاني الوفاة: النوم، كما ذكرنا، بدليل قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الزمر: ٤٢)، والموت [1]: هو خروج الروح من الجسد دون مَضَرّة للجسد؛ فالجسد بعد خروج الروح في الموت الطبيعي يظل سليما ويُدفن، أما **القتل**: فهو نقض البنية الجسدية التي بها الروح، وبهدم البنية تخرج الروح، ولذلك نقول إن الله فقط هو الذي يُميتُ البشر، أما البشر فيقدرون بعضهم على بعض بالقتل؛ أي بنقض البنية الجسدية وهدمها. والمثال الحسي لذلك هو المصباح والنور: فالمصباح هو البنية الصالحة لخروج النور منه، لكن النور موجود أصلا، فإذا كُسر المصباح اختفى النورُ، مع بقائه طاقة لا تتبدد، وقد علمنا من الآيات الكونية أن الله سبحانه يبدي الأشياء ولا يبتديها؛ فالأشياء موجودة؛ تأمل قوله تعالى: "إنما قولنا

(1) راجع في ذلك: دور المنهج المقارن في التأصيل اللهجي للغة القرآن الكريم، عبد الرحمن محمد طعمة، مجلة الدراسات الشرقية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، قيد النشر (2015)، وبه تأصيل لمعنى الجذر (موت)، وكذا أورد الإمام الشعراوي ملحظا عن نقض البنية بالقتل في تفسيره، وأن الوفاة تختلف عن القتل؛ تفسير الشعراوي، طبعة أخبار اليوم المصرية، 270/8.

لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون"؛ تأمل قوله سبحانه: نقول له؛ للمُخاطَب، ولا خطاب لمنعدم، كذلك العلاقة بين الروح والجسد، فالجسد مجرد غلاف للروح، والدليل على ذلك أن الله تعالى فرق بين الموت والقتل بقوله: ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ (الأحزاب: ١٦)؛ وهي واو تفيد المغايرة.

أما آية عيسى عليه السلام؛ فالمعنى أن الله استوفاه إليه ورفعه كاملا بالجسد والروح، فهو إذن لم يمت، والذين يتعللون بأن الواو تفيد الترتيب، نرد عليهم بقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ ﴾ (القمر: ١٦)؛ فالعذاب لا يأتي قبل الإنذار، وكذلك: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ (الأحزاب:٧)، فلا يوجد ترتيب هنا بين الأنبياء.

إذن فمتوفيك ورافعك ليست على قصد الترتيب، بل المعنى أنه رفعه في السماء، ولم يستوفه في مكان في الأرض لا يعرفه أحد، فالمسألة إذن حقيقية: الاستيفاء بالجسد والروح.

وبالمنطق: إذا كانت بداية عيسى أصلا ليست طبيعية أو تتماشى وفق نواميس الحياة، وحياته كانت معجزات خارقة، فكيف نتعجب من نهايته التي لا بد بالتبعية أن تكون غريبة أيضا. وذلك هو الرد على من زعموا بأن عيسى مات ثم رُفع، فهو لم يمت، بل استوفاه الله ببنيته جسدا وروحا معا إلى السماء. والدليل النقلي عند المسلمين: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾ (النساء: ١٥٧). هذا هو **التأصيل اللغوي المتكامل في تحليل النص القرآني وتفسيره**: الفهم العميق للدلالة المعجمية للكلمة، وتسييقها النصي في خضم الآيات، مع الحرص على المقابلة والتدقيق في نظام المعاني الشامل لآيات القرآن الكريم، حتى يستطيع المفسر أن يصل إلى قانون لغوي حاكم لمسار اللفظة داخل التركيب؛ ليصل إلى منطقية المعنى والقصد بتسلسل عقلي مُبرهَن لا شائبة فيه.

ثالث وعشرون- البصر والنظر[1]: نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى وضع **النظر** للإشارة إلينا تنبيها لحالنا وموقفنا، خاصة ليشعرنا أنه غاضب علينا إن عصيناه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الروم: ٢٧). ونظره سبحانه كله إبصار؛ إذ هو الذي خلق البصر؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ (آل عمران: ٧٧)، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (يونس: ١٤)، وبهذا التعبير والمعنى نفسه نجده سبحانه وتعالى يستعمل الإبصار في سورة البقرة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ (البقرة: ١١٠)، وفي الإسراء: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٠)

وغير هذه الآيات الكثير.

وأما **البصر** فهو عكس النظر- تماما – فهو الرؤية بالعين مع التركيز والفحص، وهو الإيصال إلى الدماغ، عن طريق العصب البصري Optical Nerve. ويبينه كتاب الله بالآيتين: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ (الأعراف: ١٩٨)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (الواقعة: ٨٥). ويبين الله عز وجل البصر في كتابه أحسن تبيين في قوله تعالى لمنكري البعث والحشر والجزاء حين كانوا في الدنيا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (ق: ٢٢). أما في الدنيا فقد كانوا ينظرون نظر المغشي عليه من الموت لإنكارهم البعث والحشر والجزاء. ويوم القيامة يجدون

(1) التعريفات بتصرف مختصر، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمعجم الاشتقاقي المؤصل للغة القرآن الكريم، محمد حسن حسن جبل، طبعة مكتبة الآداب، القاهرة، 2012، مواد (بصر/ نظر) والشرح الطبي من قبل الباحث [الباحث درس الطب أربع سنوات قبل الانتقال لدراسة اللغة الشريفة].

الحقيقة، فتحتد أبصارهم فتنكشف الحجب عن العقول، تماما مثل حدة ألسنتهم في الدنيا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ... فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ... ﴿١٩﴾ ﴾ (الأحزاب:١٩).

ونلاحظ في اللسان الأعجمي كلمة observe - observer : ونجدها بنفس الجرس اللفظي، وبها الحروف الثلاثة: [ب، ص، ر] B.S.R. ، وبنفس المعنى: أدرك، لاحظ، درس... إلخ.

والبصير من أسماء الله الحسنى: السميع البصير؛ من الصفات المتلازمة في القرآن الكريم، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ (الملك: ١٩). قال جل شأنه: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأنعام: ١٠٣)؛ لم يقل سبحانه وتعالى: "لا تدركه الأنظار"، لأن الأنظار لا توصل، ولا تدرك، إنما الذي يدرك ويحلل هو البصر؛ وهذا لم ولن يدرك الله سبحانه أبدا، وهنا تفصيل:

(لا تدركه الأبصار): عُلم أن الإدراك غير الرؤية، لأن **الإدراك** هو: الوقوف على كنه الشيء والإحاطة به، **والرؤية:** المُعاينة، وقد تكون الرؤية بلا إدراك، قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (الشعراء: ٦١)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾[1] (طه: ٧٧)؛ أي: لا تخشى إدراكا ولحاقا أو تبعة؛ فنفى الإدراك مع إثبات الرؤية، فالله عز وجل يجوز أن يُرى من غير إدراك وإحاطة به سبحانه، كما يُعرف في الدنيا ولا يُحاط به، قال الله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ (طه: ١١٠)؛ فنفى الإحاطة مع ثبوت العلم، قال سعيد بن المسيب: لا تحيط به الأبصار، وقال عطاء: كَلَّت

---

(1) الدَّرَكُ مُحَرَّكَةً: اللَّحاقُ، وقد أدْرَكَه: إذا لَحِقَه، وهو اسمٌ من الإدْراكِ، وفي الصِّحاحِ الإدْراكُ: اللُّحُوقُ؛ يُقال: مَشَيت حتى أَدْرَكْتُه وعِشْتُ حتى أَدْرَكْتُ زمانَه. ورَجُلٌ دَرّاكٌ: كثيرُ الإدْراكِ؛ قال الجوهري: وقَلّما يَجِيءُ فَعّالٌ من أَفْعَلَ يُفْعِلُ، غير أنّهم قد قالُوا: حَسّاسٌ دَرّاكٌ لُغَة أو ازدواجا، وقال غيرُه: ولم يَجِئْ فَعّالٌ من أَفْعَلَ إلا دَرّاكٌ من أَدْرَكَ وجَبّارٌ من أَجْبَرَه على الحُكْمِ: أَكْرَهَه، وسَآرٌ من قوله: أَسْأَرَ في الكَأْسِ: إذا أَبْقَى فيها سُؤْرا من الشَّرابِ، وهي البَقِيَّةُ. وحَكَى اللِّحْيانِي: رجُلٌ مُدْرِكَةٌ بالهاءِ: سَرِيعُ الإدْراكِ. وقال غيرُه: رجلٌ مُدْرِكٌ أيضا؛ أي: كَثِيرُ الإدْراكِ. قال ابنُ بَرِّيّ: وشاهِدُ دَرّاكٍ قولُ قَيسِ بنِ رِفاعَةَ: وصاحِبُ الوِتْرِ ليسَ الدَّهْرُ مُدْرِكَه... عِنْدِي وإنّي لَدَرّاكٌ بأَوْتارِ. وتَدارَكُوا: تَلاحَقُوا؛ أي: لَحِقَ آخِرُهُم أَوَّلَهم.

راجع التفسير واللغة: http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?flag=1&bk_no=51&ID=478

http://www.maajim.com/%D8%AF%D8%B1%D9%83

أبصارُ المخلوقين عن الإحاطة به، وقال ابن عباس ومقاتل: لا تدركه الأبصار في الدنيا، وهو يُرى في الآخرة. قوله تعالى: (وهو يدرك الأبصار)، لا يخفى عليه شيء ولا يفوته، (وهو اللطيف الخبير)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: اللطيف بأوليائه الخبير بهم، وقال الأزهري: معنى (اللطيف): الرفيق بعباده، وقيل: اللطيفُ الموصلُ الشيءَ باللين والرفق، وقيل: اللطيف الذي يُنسِي العبادَ ذنوبَهم لئلا يخجلوا، **وأصل اللطف** دقة النظر في الأشياء؛ فناسب التذييلُ (اللطيف الخبير) بداية الآية؛ وهنا وقفة بيانية بلاغية مهمة: إن الله سبحانه وتعالى أعظم وأجلُّ من أن يحيط به مخلوق من مخلوقاته؛ ملكا كان أو نبيا أو إنسانا ...إلخ بآلة البصر العادية تلك (العين المخلوقة)؛ فالأبصار لا تُطيقُه، وقد قال (ص) في حديث الإسراء والمعراج: " .... نورٌ، أنّى أراه." لكن هذه البصيرة تُدرك الله تعالى بحسن الفطرة السليمة، وسيبدلها الله سبحانه يوم الدين، لتكون أعظم متعة في الجنة للعباد المصطفين هي النظر إلى وجهه الكريم، إنه سبحانه قد حجب الأبصار عن رؤيته وإدراكه بما تعجز عنه العقول والأفهام، ثم خُتمت الآية بما يؤيد ذلك تمام التأييد: **اللطيف الخبير**؛ وهذا في البلاغة من باب **اللف**:

- **لا تدركه الأبصار ⟵ لأنه اللطيف**
- **وهو يدرك الأبصار ⟵ لأنه الخبير**

"ويكون اللطيفُ مستعارًا من مقابل **الكثيف** لما لا يُدرك بالحاسة ولا ينطبعُ فيها، وآثر السياق الاسمين دفعا لتوهُّم أنَّ من لا تدركه الأبصار لا يعلم أحوال من لا يُدركونه."[1]

هكذا حرص العلماء المفسرون على تأصيل الفهم والبعد عن الوهم، تصاحبهم قوانين اللغة وحجية المنطق أسسا عامة للتأصيل والتحليل والجمع والرصد، لتتكون لديهم ذخيرة دلالية تُنشئ فيما بعد قاعدة ينطلق منها الباحث في تفسير القرآن الكريم ليضيف ويُكمل رحلة اللغة الشريفة.

رابع وعشرون- الروعُ والروغُ[2]: ولم تُستعمل مادة الروع والروغ في القرآن إلا في قصة إبراهيم عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ (هود: ٧٤)، والروع هنا هو مفاجأته ببشارة الولد، رغم كبره هو وزوجه، فقد ارتاع وفزع من صدمة المفاجأة، فلما زال عنه ذلك صار يجادل الملائكة في أمر لوط. أما الروغ أو الروغان، فقد جاء بصيغة الماضي ثلاث

(1) راجع أنوار التنزيل للبيضاوي (315/1)، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (606/4) والتحرير والتنوير لابن عاشور (64/5) وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (411/2).

(2) لطائف قرآنية، مرجع سابق، ص 105.

مرات في الإخبار عن قصة إبراهيم عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ۝٩٣ ﴾ (الصافات: ٩١ – ٩٣)، وليس المقصود بالروغان هنا الاحتيال أو المكر، فإبراهيم لا يليق به هذا، ولكن المراد هو السرعة والخفة، والذهاب إلى الشيء بنوع من الخفية والترتيب والإعداد السري. ولما جاءت الملائكة إليه عليه السلام في صورة بشر ظنهم ضيوفا فأراد أن يكرمهم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ۝٢٦ ﴾ (الذاريات: ٢٦)، والمعنى هنا مسارعته في إكرام ضيفه لتقديم العجل الحنيذ المشوي؛ فكلمة راغ جاءت في قصة إبراهيم فقط مخصصة له مدحا وثناء عليه، عليه السلام. وكما أشرنا دوما من أن فهم الوحدة المعجمية اللفظية في القرآن الكريم لا يتأتى إلا من خلال السياق الداخلي أولا ثم الخارجي ثم تتبع اللفظ في عموم النص، في نظام المعاني المتكامل للقرآن كله، لأن القرآن وحدة واحدة متسقة متماسكة، ولا يُفهم اللفظ أبدا في سياق الآية الواحدة فقط.

خامس وعشرون– من المعاني المعجمية التركيبية (الخُلد والخلود):

خَلَدَ خُلدًا وخلودًا: دام وبَقِيَ، ومنه قوله تعالى: ﴿ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ ﴾ (الفرقان: ٦٩) [1] . وأخلَدَ: أسنَّ ولم يَشِبْ، وأخلد إلى: اطمأنَّ وسَكَنَ، وبهذا المعنى جاءت الآية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ ... ۝١٧٦ ﴾ (الأعراف: ١٧٦)، ومن معاني **البقاء المُسبَّب** في الدنيا وردت آيتان، هما، قوله تعالى: ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ۝١٢٩ ﴾ (الشعراء: ١٢٩)؛ أي تتخذون أبنية وقصورا مشيدة وحصونا ظنا منكم أنكم بها باقون دائمون ولن تموتوا. وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣ ﴾ (الهمزة: ٢ – ٣). ومن بديع التفرقة المعجمية بين كلمتي الخُلد والخُلود ورودهما في القرآن في سياقات تبين العموم والشمول، وتبين العلاقة الجزئية كذلك من الوجهة الدلالية؛ فالملاحَظُ أن كل الآيات الواردة في "الخُلد" تأتي على معنى الجزئية وليس الشمولية؛ إفادة للتعيين والتحديد والتخصيص لمن يخصهم هذا الخُلد؛ وهي الآيات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ۝٥٢ ﴾ (يونس: ٥٢)

(1) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة (خلد).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ ﴾ (طه: ١٢٠)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾ (الفرقان: ١٥)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (السجدة: ١٤)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (فصلت: ٢٨)

فالملاحظ أن كلمة "الخلد" وقعت في كل هذه الآيات موقع المضاف إليه؛ بمعنى أن جزءا مضافا إلى جزء آخر، في علاقة تكاملية لا ينفك فيها الجزء عما يتبعه؛ ففي الآيات يكون عذاب الخلد خاصا بجماعة معينة هم الظالمون، وتكون جنة الخلد لفئة المتقين من المؤمنين دون غيرهم، وتكون دار الخلد جزاء لأعداء الله ... إلخ، فالتعيين إذن مستفاد من هذه **العلاقة الجزئية التي تحققت بالإضافة**.

أما **الخلود** فأعم من ذلك، ولم ترد هذه اللفظة إلا مرة واحدة في القرآن الكريم، لتشمل أبدية الحياة في عالم الملكوت على الجميع: مؤمنين وكافرين، وارتبطت في الآية بالمؤمنين، لأن الخلود يكون لهم متاعا دون غيرهم من المعذبين إلى الأبد، ووردت في قوله تعالى: ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ ﴾ (ق: ٣٤).

ومن **الناحية البنائية**، فإن زيادة المبنى تزيد المعنى، والخلد أقل بناء من الخلود، ففي هذا المعنى جزئي وفي ذاك المعنى الأشمل، ولذلك جاء التعبير القرآني دقيقا في تسييق الوحدة المعجمية لتناسب المعنى المراد الإفصاح عنه (أبدية البقاء). وإذا أردنا إحصاء الجذر اللغوي وصوره المتنوعة في القرآن الكريم فسنجدُ أن كلمة "**خالد**" جاءت على صيغة **اسم الفاعل المفرد** 4 مرات في القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ... كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ (محمد: ١٥)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ (النساء: ١٤)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ (النساء: ٩٣)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾ (التوبة: ٦٣)

وفي الآيات الأربع تأتي في موقع الحالية، سواء على المستوى السطحي أو العميق للتركيب، وذلك يناسب دلالات الآيات، التي توضح حالهم الأبدي فيما يعانونه من عذاب الله، وكلها عن عذاب الله. ووردت الكلمة بالمعنى نفسه الوارد في هذه الآيات، لكن بصيغة اسم الفاعل **المثنى** في موضع واحد في القرآن: قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الحشر: ١٧).

أما كلمة "**خالدون**" فقد وردت بصيغة الجمع في حالة الرفع بالواو والنون والجر بالياء والنون، ووردت "**الخالدون**" هكذا معرفة مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الأنبياء: ٣٤)، ونلاحظ أن الخلود كما أسلفنا وردت أيضا مرة واحدة في سورة ق، وبنفس رقم الآية في الأنبياء، **فالعموم القرآني لا يتعدد، إنما يتعدد التفصيل**، إنْ باللفظ وإضافته في علاقات جزئية، أو بالتقييد كما سنرى، أو بالعلاقات التركيبية من عطف وبدل ... إلخ؛ فالآية تبين أمرا قطعيا واحدا لا يحتاج إلى تحليل؛ إذا كان النبي (ص) سيموت، فهل يبقى مَن هم دونه من البشر!! تماما كقضية الخلود في الآخرة وانتهاء مفهوم الزمن نهائيا، فلا أبعاد للزمان ولا للمكان في عالم الملكوت، ولذلك هو يوم الخلود.

وجاءت "**خالدون**" نكرة 9 مرات في حق أصحاب الجنة، و15 مرة في حق أصحاب النار، في موقع الإخبار عن حالهم في الآخرة.

في كل ما سبق لم تتقيد اللفظة بالظرف "أبدا" ولم تدل بالظاهر على معنى الأبدية، أما حينما وردت "**خالدين**" بالياء والنون، وفي موقع الحالية ارتبط اللفظ بالظرف "أبدا" في بعض المواضع، ويحمل عدد مرات ورودها 44 مرة، كالتالي:

◄ **مرتان في الحياة الدنيا:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الأعراف: ٢٠)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (الأنبياء: ٨)

◄ 28 مرة مرتبطة **بالحديث عن أهل الجنة**.

◄ 14 مرة مرتبطة **بالحديث عن أهل النار**.

ورد الظرف (أبدا) 3 مرات من أصل 14 مرة جاءت فيها كلمة "خالدين" في الحديث عن أهل النار، وورد 9 مرات من أصل 28 مرة ارتبطت فيها كلمة "خالدين" بالحديث عن أهل الجنة، والقاعدة تقول: **إن ورود المطلق على المقيد يحيل إلى المقيد، وورود المجمل عن شيء يرجع إلى المفصَّل، يُستثنى من ذلك العدد**، فيكون المطلق من هذه الآيات محمولا على مقيدها الذي أتى فيه الظرف (أبدا)، وقد جاء الظرف مناسبا لوظيفة الحال في "خالدين" تأكيدا لمعنى الأبدية في حالهم في الآخرة، وقد تبين من التحليلات التركيبية أن وظيفة الظرف تلتقي كثيرا مع وظيفة الحال في اللغة العربية، فالظرف هو الوعاء والحال هو الحدث في زمن معين ولحظة معينة داخل هذا الوعاء، فتناسبت الوظيفتان تركيبيا لبيان المراد من دلالة الآيات على أحداث الملكوت (استمرارية الأحداث مطلقا).

أخيرا، وردت كلمة "**مُخلَّدون**" مرتين فقط في سياق الحديث عن غلمان الجنة الذين لا يتغير حالهم من خدمة المتقين؛ حيث يطوفون عليهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الواقعة: ١٧)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ (الإنسان: ١٩)

سادس وعشرون- انفتاح الدلالة في النص القرآني الشريف على المستوى المعجمي التركيبي:

ونسوق لذلك بعض الأمثلة لا على سبيل الحصر:

• **قال تعالى**: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الحديد: ٢٢)، فالضمير في (نبرأها) تقدمه ثلاثة مراجع: المصيبة / والأرض / وأنفسكم؛ وقواعد المطابقة تأذن بعود الضمير "الهاء" على هذه المراجع الثلاثة المتقدمة؛ ليعقب هذا انفتاح دلالي مؤتلف من ثلاثة أوجه[1]:

- الضمير "الهاء" عائد على الأرض: من قبل أن نبرأ الأرض.
- الضمير عائد على المصيبة: من قبل أن نبرأ المصيبة.
- الضمير عائد على النفس: من قبل أن نبرأ النفس.

(1) مباحثات لسانية في ظواهر قرآنية، مهدي أسعد عرار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2008، ص 23.

والمستصفى مما تقدم أن هذه المراجع الثلاثة لا تتدافع، بل هي متقبّلةٌ في سياقها التركيبي، والإعجاز النصي هنا هو انفتاح الدلالة في ثلاث شعب دلالية، والمقصد الدلالي هو **التقرير بالتقدير**: تقرير العزيز العليم قبل أن يبرأ الأرض أو النفس أو المصيبة؛ ذلك أن كل شيء عنده بمقدار محفوظ في لوح محفوظ قبل أن يوجد الوجود، فهذه المعاني المتخلّقة تفضي إلى نفي المعنى بالمطلق؛ فالمصيبة التي تحل بالخلق مكتوبة عليهم، ومقدّرة قبل أن يبرأ الله الأرض أو الخلق "أنفسكم" أو المصيبة نفسها، ويمكن أن يضاف مرجع رابع، وهو كل ما تقدم ذكره.

• **وقال جل شأنه:** ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (التوبة: ١٠) لنرى الانفتاح الدلالي المعجمي في لفظة "إلّا"، وهي من المشترك اللفظي؛ فمن معانيها: الإله، أو العهد، أو الحِلف، أو القرابة، أو الجِوار، وكلها يتحملها السياق؛ فالمشركون لا يضيرهم عهد أو حلف أو قرابة ... إلخ، وانفتاح الدلالة فيه إلماحة إلى نفي المعنى بكلّيته، والملحظ اللطيف أن كلمة واحدة قامت مقام عدة كلمات في تركيب واحد: فهم لا يرقبون في مؤمن قرابة أو جِوارا أو عهدا أو حِلفا ... إلخ[1].

• **ومثل ذلك قوله سبحانه في وصف خمر أهل الجنة:** ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (الواقعة: ١٩)؛ حيث أورد ابن قتيبة فيها ملحظا مهما؛ مصرحا بأن دلالة "ينزفون" تتسع لمدخلات متنوعة، حيث نفى الحق سبحانه بهذين اللفظين فقط جميع عيوب الخمر، وجمع بقوله: "ولا ينزفون" عدم العقل، وذهاب المال، ونفاذ الشراب[2].

• **وكذا قوله تعالى:** ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (يونس: ٩٢)، وقد يتحير سائل: كيف يستخدم ننجيك مع فانٍ قد غرق ومات؟ لكن البحث الدلالي قد يبين شيئا من المسألة:

فالنجاة في اللغة الخلاص من الشيء، والصدق مَنْجاة، وقال تعالى: ﴿ ... وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (العنكبوت: ٣٣): أي مخلّصوك من العذاب وأهلَكَ، ومن معاني النجاة والنجوة ما ارتفع من الأرض فلم يعلُهُ السد، كما عند ابن منظور في مادة (نجا)، وهذا هو الأصل في دلالة الجذر (ن / ج / ا)، ثم تطورت الدلالة بعد ذلك

(1) مباحثات لسانية، مرجع سابق، ص 30.

(2) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق السيد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1973، ص 7.

فغدت تتسع للمحسوس والمجرد، وأصبحت غير مقتصرة على طلب الناجي النجوة، أو ما ارتفع من الأرض، بل إن كل ما يسعفه على تنجيته هو نجاؤه ونجاته؛ تأمل قوله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ... وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ... ﴿٤٠﴾ ﴾ (طه: ٤٠)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (يونس: ٨٦)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ (الإسراء: ٦٧)

ففي هذه الآيات الثلاث يتفق معنى التنجية مع المعنى الذائع اليوم: التخليص والإنقاذ. أما في آية فرعون: فاليوم ننجيك، فثم ملحظ يجب التنبيه إليه، وهو أن ننجيك. والله أعلم. **جاءت باعتبار الأصل لا باعتبار الانزياح الدلالي**؛ ليكون المعنى المتعين منها أننا نجعلك فوق نجوة من الأرض، أو نلقيك على نجوة لتُعرَفَ، وقد ذهب إلى هذا المعنى خلقٌ من اللغويين كأبي عبيدة والأخفش وابن قتيبة واليزيدي ومكي، وتابعهم عليه جمعٌ من المفسرين، والاستناد التركيبي في هذا أيضا هو لفظ "ببدنك"؛ فلم يقل سبحانه "بروحك"، ويسنده أيضا قراءة ابن مسعود" فاليوم نُنَحِّيكَ ببدنك" (بالحاء المهملة): أي نلقيك بناحية مما يلي البحر[1].

• **رابعا - دقة القرآن في استخدام الصيغة الصرفية للوحدة المعجمية بالتوازي مع مدلول التركيب:**

وسأضرب لذلك أمثلة مختصرة، لأنها فوق الحصر هنا، على سبيل المثال:

• **تنوع صيغ الجموع:**

* استخدام **الجمع ذكور/ وذُكران**[2]: جمع كلمة "ذكر"، وقد وردا في القرآن الكريم في سياقات مختلفة، يقول تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الشورى: ٤٩ – ٥٠)، والشائع من هذا الجمع هو (ذكور)، أما (ذكران) فهو نادر، ولعل القرآن قد استخدم الجمع الشائع، وهو من صيغ جموع الكثرة، للتعبير عن كثرة وقوع الحدث المذكور وشيوعه، وهو أمر جلي في آية الشورى رقم (49)، وكذا في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ

(1) مباحثات لسانية، مرجع سابق، ص ص 105 107، بتصرف.

(2) معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، محمد محمد داود، دار غريب، القاهرة، ط 1، 2008، ص 478.

لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ... ﴿١٣٩﴾ ﴾ (الأنعام: ١٣٩)؛ فشيوع الذكور بين الناس أمر بيّن. أما الجمع (**ذكران**) فقد أستُعمل في سياقات تشير إلى الندرة والغرابة، كما في آية الشورى (50)؛ حيث يندر ولادة التوائم قياسا على ولادة طفل واحد ذكرا أو أنثى. والموضع الآخر الذي استعمل فيه ذكران هو قوله تعالى: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (الشعراء: ١٦٥)، وهو فعل شاذ منهم نادر لا يقاس عليه يخالف الطبيعة والنقية؛ وبذلك فقد استعمل القرآن صيغة جمع نادر للتعبير عن غرابة الحدث المشار إليه.

* **سنابل/ وسنبلات**[1]: وهما جمع كلمة "سنبلة"، يقول تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ (البقرة: ٢٦١)، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ... ﴿٤٣﴾ ﴾ (يوسف: ٤٣)، وقوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (يوسف: ٤٦)، ومن المعلوم أن كلمة (**سنابل**) من صيغ جموع الكثرة، ولذلك أستُعملت في سياق التعبير عن زيادة الأجر ومضاعفة الثواب في آية البقرة. أما كلمة (**سنبلات**) فجاءت في صيغة جمع المؤنث السالم، وهو من جموع القلة، في سياق يدل على القلة؛ حيث جاءت تمييزا للعدد سبعة. وهي دقة تركيبية تراعي مدلول الجملة القرآنية.

* **النخل والنخيل**[2]: يقول تعالى: ﴿ ... وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ... ﴿٩٩﴾ ﴾ (الأنعام: ٩٩)، ويقول سبحانه: ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (ق: ١٠)، ويقول تعالى: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (النحل: ١١)، وقال: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (النحل: ٦٧)، ويرى السامرائي أن النخل أكثر من النخيل، لأن النخل **اسم جنس جمعي**

(1) معجم الفروق الدلالية، مرجع سابق، ص 484.

(2) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، الأردن، سلسلة دراسات بيانية في الأسلوب القرآني، رقم (2)، ط 6، 2009، ص 110.

[الذي يفرّقُ بينه وبين مفرده بالتاء أو الياء]، والنخيل جمع، **واسم الجنس أشمل وأعم من الجمع**، وكما هو في الاستعمال القرآني للفظتين داخل السياق التركيبي؛ ذلك أن اسم الجنس يشمل المفرد والمثنى والجمع، ويقع على القليل والكثير؛ فيصح أن يقول من أكل تمرة واحدة: أكلت التمر، ويصح أن يقول إذا شاهد نخلة: شاهدت النخل، ولا يقول النخيل أو النخلات، وقد ورد لفظ النخيل في ثمانية مواضع من الكتاب العزيز دون إفادة الشمول كما يرى السامرائي[1]، منها: قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (المؤمنون: ١٩)؛ فالنخيل هنا في جنات، فلا يشمل ما في غير الجنات، فلا تدخل فيها النخلة الواحدة أو النخلتان وقليل النخل. أما **النخل** فهو عام يشمل الصغير والكبير، المثمر وغير المثمر، سواء أكان في جنات أم في غيرها، وسواء أكانت نخلة واحدة أم أكثر؛ قال تعالى: ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ (القمر: ٢٠)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ ... فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ (طه: ٧١)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ ﴾(ق: ١٠)؛ فلم يخصص النخل بشيء، فهو أعم من النخيل وأشمل. وقد أفاض السامرائي في بسط المسألة بالتفريق بين صورتين للنخل والنخيل في مقابلة بين سورتي النحل، وعبس، لبيان شمولية لفظ النخل عن النخيل[2].

- **بين الإفراد والجمع**[3]:

* **درجة/ ودرجات**: قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾ (النساء: ٩٥ – ٩٦)؛ حيث جاء بالمفرد (درجة) في الآية الأولى، لأن المراد: في الدنيا، وجُمعت في الآية الثانية (درجات)، لأن المراد: في الآخرة.

(1) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، مرجع سابق، ص 112.

(2) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، المرجع السابق، ص ص 114 116.

(3) معجم الفروق الدلالية، مرجع سابق، ص 499.

* دار/ وديار: قَالَ تَعَالَى:﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الأعراف: ٧٨)، وقال سبحانه: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (هود: ٩٤). أفرد لفظ الدار في آية الأعراف، لأن الرجفة . وهي الزلزلة . دمرت بلدهم تدميرا، فجاء اللفظ واحدا باعتبار بلدهم المدمر، وجمع اللفظ في آية هود، لأن الصيحة جاءت من السماء، وهي أقوى وأعنف من الرجفة؛ فجاء اللفظ مجموعا لبيان عظم التدمير وقوته وفداحة أثره.

فالملاحظُ أن **المخالفة بين الجموع تكون للإشارة إلى تعدد معنى المفرد؛ ويأخذ ذلك شكلين في القرآن الكريم، هما**[1]:

• **النوع الأول** – دلالة المفرد على أكثر من معنى باعتباره من ألفاظ المشترك اللفظي

ومثاله (**أعين وعيون**) كما سبق، ففي التنزيل الحكيم 22 آية للجمع (أعين)، و 10 آيات للجمع (عيون)، والسر هو تخصيص كل جمع لأحد المعنيين دون الآخر؛ فلم ترد أعين في السياق القرآني إلا جمعا دالا على العين الباصرة، ولم يرد الجمع عيون إلا دالا على عين الماء، ولا يصح . كما يقول النحاة . أن يكون السبب هو إرادة القلة مع الجمع (أعين) والكثرة مع الجمع (عيون)؛ فلا يُستساغ . مثلا . معنى القلة في آيات مثل: قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ (الأعراف: ١١٦)، ومثل: قَالَ تَعَالَى:﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾(الزخرف: ٧١)، لأن معنى الكثرة هو الأنسب والأكثر ملاءمة للسياق.

• **النوع الثاني** – دلالة المفرد على أكثر من معنى نتيجة تخصيص المعنى العام للفظ في اتجاهين متباينين يُراد بكل منهما نوعٌ معين من أفراد هذا المعنى العام [الاختلاف في تطبيقات الاستخدام]

ومثاله (**حمير وحُمُر**)؛ حيث ورد الجمع (الحمير) في القرآن مرتين: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (النحل: ٨)، وقوله سبحانه: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ (لقمان: ١٩).

(1) كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم، محمد محمد داود، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 2، د.ت، ص ص 111-113.

وورد لفظ (الحُمُر) مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝ ﴾ (المدثر: ٥٠ – ٥١). وواضح من سياق الآيات أن القرآن قد استخدم لفظ (الحمير) حين أراد الأهليَّ منها؛ فهي التي تُستخدم للركوب. أما لفظ (الحُمُر) فالمراد به الحُمُر الوحشية، بدليل السياق كذلك، لأن القسورة . سواء فُسرت بالأسد أو بالرُّماة والصيادين . لا توجد عادة داخل المساكن والبيوت، ويدل على ذلك أيضا قول ابن عباس: إن المراد في الآية الحُمُر الوحشية.

• **خامسا – تنوع الأسلوب القرآني للتعبير عن المعنى الواحد:**

1- الوصف والإضافة؛ كما هو في تركيب [وللدَّارُ الآخرة خير/ ولَدَارُ الآخرة خير][1]:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ ﴾ (الأنعام: ٣٢)، ويقول سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ ﴾ (يوسف: ١٠٩)؛ في آية الأنعام عُرِّفت الدار ووُصفت بالآخرة، في مقابل ما تقدم أول الآية: (الحياة الدنيا)؛ **ليكون هناك تناسق في التركيب**، فلما وُصفت الحياة بمعرفة (الدنيا) ناسب أن يأتي في مقابلها تركيب وصفي مكون من الموصوف والوصف [الدار+الآخرة]، وكذا قول الله تعالى: ﴿ ...وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ ﴾ (الأعراف: ١٦٩).أما في آية يوسف فنُكِّرت كلمة (دار) وأُضيفت إلى الآخرة؛ حيث لم يتقدمها وصف الحياة الدنيا، وكذا قول الله تعالى: ﴿ ...وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ... ﴾ (يوسف: 109).

2- وخلق منها زوجها / وجعل منها زوجها [2]:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ... ۝ ﴾ (النساء: ١)، وقال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ ...۝ ﴾ (الأعراف: ١٨٩). آية النساء في آدم وحواء عليهما السلام، لأنها خُلقت منه؛ فناسب التعبير بقوله عز وجل: وخلق. أما آية الأعراف فقد قيل إنها نزلت في قُصي أو غيره من المشركين، ولم تُخلق زوجته منه، فقال عز وجل: وجعل، لأن الجعل لا يلزم منه الخلق، فالمعنى: جعل من جنسها زوجها.

---

(1) معجم الفروق الدلالية، مرجع سابق، ص 536.

(2) معجم الفروق الدلالية، المرجع السابق، ص 546، والأمثلة كثيرة، راجع الصفحات: 544-566.

3- **كذلك كذَّب الذين من قبلهم / كذلك فعل الذين من قبلهم:** قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ **كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ** حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ ﴾ (الأنعام: ١٤٨)، وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ **كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ** فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٣٥ ﴾ (النحل: ٣٥)، فقد عبرت آية الأنعام بالفعل (كذَّب)، لأنه تقدم عليها قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٤٧ ﴾ (الأنعام: ١٤٧)، وعبرت آية النحل بالفعل (فعل)، لأنه تقدم عليها أفعال في مطلع الآية المذكورة: أشركوا، وعبدنا، وحرمنا، فبين سبحانه أنه فعل السابقين عليهم.

◄ ونختم هذه الدراسة بما بدأناه بها من توضيح أن القرآن الكريم بنصه المعجز وآياته وألفاظه المكونة من وحدات المعجم العربي الأصيل تتفاعل في نظام متكامل من المعاني، لا تنفك عراه عن بعضها، ولا يُفهم اللفظ ولا تُفسَّرُ الآية أبدا بعيدا عن مقابلتها مع الآيات المحكمة والمتشابهة معها؛ فقضية النظم القرآني والقوى التأليفية المعجزة لآياته كانت الشغل الشاغل للبلاغيين على مر الدهور؛ وقد أفاض "علي مهدي زيتون" في تتبع آراء العلماء وسرد نظرياتهم ضمن أسس البلاغة العربية، كما استشهد مثلا بابن رشيق القيرواني في بحثه قضية التأليف، ومن أنواعه **المزاوجة** التي تقوم على التناسب بين الجمل في النص، كما في الآية: قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ١١٩ ﴾ (طه: ١١٨ – ١١٩) للتدليل على سلامة هذه المزاوجة، والحديث عن أنَّ بالقرآن معانٍ لا تكاد تفترق أبدا؛ مثل **الصلاة والزكاة، والخوف والجوع، والجنة والنار، والرغبة والرهبة، والمهاجرين والأنصار، والجن والإنس، والسمع والبصر** ... إلخ[1]، كما أورد نماذج مختلفة أخرى عند ابن سنان الخفاجي، والقاضي البغدادي، والكلاعي، وأسامة بن منقذ، وابن أبي الإصبع، وحازم القرطاجني، وغيرهم من البلاغيين العرب، يمكن الرجوع إليها في موضعها لضيق المقام هنا عن عرض أمثلة تحليلية وفق رؤاهم النظمية. وسوف نختم ببعض الأمثلة السياقية لتوضيح ذلك.

---

(1) إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، علي مهدي زيتون، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 1، 1992، ص 186 وما بعدها. وراجع مفهوم **المصاحبة اللغوية**، بداية هذه الدراسة.

* **معنى "ووجدك ضالا فهدى" في سورة الضحى**[1]: فلا يمكن فهم معنى الضلال هنا بعيدا عن سياق آخر ورد في سورة النساء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (النساء: ١١٣)، وفي آية الشورى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الشورى: ٥٢)، وآية القصص: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (القصص: ٨٦)، وآية يوسف: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (يوسف: ٣)، فحاشاه (ص) أن يقصد بالضلال هنا ما نعهده من المعنى العرفي الذي يعني اتباع الهوى أو غيره، لكن الجذر يتحمل سياقيا في سورة الضحى معنى الحيرة والبحث عن الحق.

* **النفخات الثلاث من سورة الزمر والنمل**: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الزمر: ٦٨)؛ فالآية تفيد أن هناك نفختين فقط: الأولى يموت بعدها الخلق إلا من شاء الله، والثانية يبعثون بعدها من القبور، لكننا نفاجأ بأبي هريرة يقرر استنادا إلى سورة النمل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (النمل: ٨٧)، أن هناك نفخةً ثالثةً، هي **نفخة الفزع**، وأن المؤمنين ناجون بفضل الله منها: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأنبياء: ١٠٣)[2]، ومجمل الأخبار المستندة إلى الآيات أن النفخاتِ ثلاثٌ: **الفزع، ثم الصعق، ثم البعث**، تأمل مثلا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم

(1) التكامل السياقي: دلالة وتفسير، عبد الوهاب رشيد صالح أبو صفية، دار عمار، الأردن، ط 1، 2011، ص 29.

(2) الحديث في كتاب النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير، جـ 281/1، وقد أورده صاحب التكامل السياقي مختصرا، مرجع سابق، ص 60.

بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝ ﴾ (الحج: ١ – ٢)؛ فتشير إلى أن الناس يكونون أحياء حين تأتي نفخة الفزع، وأنه يوجد حمل ورضاع ... إلخ[1]. النفخ إذن يبدأ بالفزع . وهو ما يوافق المنطق والعقل . حيث يفزع الخلائق، ثم نفخة الصعق التي يموت فيها الخلائق، وبينهما تحدث أمور كثيرة، والظاهر أن كثيرا من الآيات التي تتحدث عن التغييرات الكونية في الأرض وفي السماء وما بينهما تحدث بين هاتين النفختين (الفزع والصعق)، ثم تأتي نفخة القيام من القبور (البعث)، وكما بينا سابقا في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۝ ﴾ (غافر: ١١)، وإن صح تفسير ذلك، يكون للموت هو الانتقال إلى عالم البرزخ، ولا موت بعده، بل هو البعث للحساب والجزاء، والله أعلم.

* **قوله تعالى: "نساؤكم حرثٌ لكم"** : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، ودون الخوض في تفصيل كثير نلاحظ أنه سبحانه لم يقل بعده: فأتوهن من حيث أمركم الله، بل قال سبحانه: فأتوا حرثكم؛ والجواب قطعا **لتأكيد وجوب الاقتصار في الإتيان على موضع الحرث لا الفرث**[2]، والنهي عن إتيان غير ذلك كما يدعي بعض الجهال. فذِكْرُ الحرث في الآية يمثل قرينة لفظية مهمة، لأنها **تُبعدُ إرادة المكان وتُعَيِّنُ إرادة الكيفية**، فاستخدام "أنّى شئتم" يُفهم منه للمكان والكيفية، لأنهما من معاني أنّى، فحتى إذا قصد المكان . مع مراعاة معنى الحرث . فلا حرَجَ ولا إشكال، لأن مكان الحرث (البذر والزرع) هو القُبُل لا الدُّبُر [3]11

* **دقة الرصف القرآني حتى على مستوى الحرف**[4]: تأمل قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ ... ۝ ﴾ (يونس: ٦١)؛ فالضمير في (منه) قد يعود إلى الشأن، والجار والمجرور صفة لمصدر محذوف: تلاوة كائنة من الشأن؛ إذ هي معظم شئونه صلى الله عليه وسلم. أو يكون الضمير للتنزيل؛ بما يغني من المَنْزِل . القرآن .

(1) التكامل السياقي، مرجع سابق، ص 60.

(2) البعد عن السياق وأهم أسبابه، عبد الوهاب رشيد صالح أبو صفية، دار عمار، الأردن، ط 1، 2011، ص 96.

(3) البعد عن السياق، مرجع سابق، ص 210.

(4) أهمية السياق ودقته وحدود حاكميته، عبد الوهاب رشيد صالح أبو صفية، دار عمار، الأردن، ط 1، 2012، ص ص 132–134.

والإضمار قبل الذكر، بمعنى أنه لم يرد ذكر القرآن قبله ليعود عليه الضمير، لتفخيم شأن القرآن. أو يكون الضمير في "منه" لله عز وجل، وعندئذ تكون "من" ابتدائية، والتي في قوله "من قرآن" مَزيدة لتأكيد النفي، أو ابتدائية على الوجه الأول (في مرجع منه)؛ أي للشأن، وبيانية أو تبعيضية على الوجه الثاني والثالث (في مرجع منه للتنزيل، أو لله). وكل ذلك يشعرك بأن معيار رصف الحروف والكلمات وترتيب الآيات لا يخضع فقط لكمال المعنى، بل لكمال النظم والمبنى وجمالهما، ولكمال الإيقاع أيضا؛ فأنت لا تستطيع أن تشعر بجرس الآية إذا حذفت "من" الأولى أبدا، لأن الموسيقى الصوتية ستضطرب فورا؛ ليكون كل حرف في كتاب الله مثل البنيان المرصوص، لا يمكن أبدا أن تغير موضعه أو أن تأتي بغيره، لأنه تنزيل العليم الحكيم جل وعلا.

هذه نماذج على سبيل البيان لا الحصر، ختمنا بها الدراسة، توضح أهم أساس من أسس التفسير للقرآن الكريم الذي لا نمل من ذكره وتكراره، وهو نظام المعاني المتكامل للنص الحكيم؛ فالاتساق والتكامل البيّن بين الآيات الحكيمات يفرض على الباحث في المعنى القرآني تسريح الذهن والبصر في محمل الكتاب العزيز، حتى يستطيع أن يفهم مضمون الآية ومقصودها.

◄ خلاصة البحث وتوصياته:

وبعد، فقد كانت هذه الدراسة عروجا على نماذجَ متعددةٍ ومختلفةٍ ومتنوعةٍ من آي الذكر الحكيم، بحثنا من خلالها قواعد التحليل النصي وفق أصول الدلالة التفسيرية، وبيَّنا كثيرا من أوجه الضبط الدلالي التركيبي لدلالة الألفاظ واستعمالها في السياق القرآني عموما، واللغوي خصوصا، وكيف يتسلح المفسر اللغوي للنص القرآني بالحد الأدنى من هذه القواعد التأصيلية، حتى لا يقع في إثم التأويل الباطل، أو الشطط المحرَّم، وكان من أهمها بيان التكامل المعنوي للسياق القرآني، والوحدة العضوية لآياته، والضوابط الصوتية والنحوية والدلالية الخاصة بالملفوظات، وما يترتب على فهمها من معنى مستفاد من السياق التركيبي للآية، مما قد يكون دليلا عقديا أحيانا، أو فهما أعمق لحادثة تاريخية، أو إعادةَ تصوير للمشهد القصصي من خلال عناصر التخييل في النص المعجز ... إلخ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وتوصي الدراسة بأن تكون هذه النقاط مقترحا في نظرية التفسير المعاصرة:

1- الدلالة اللفظية كما يراها الرازي تنشأ من عناصرَ محددة، هي:

الدال أو اللفظ (الصوت)، والمدلول (الصورة الذهنية)، وهو المتَخيَّل، والمعنى، وهو اسم الصورة الذهنية، والأشياء الخارجية المشاهَدَة، والتسمية، وهي الاختيار الإرادي للفظ المناسب للصورة الذهنية، وهي رؤية أصولية معتبرة أثبتت البحوث المعرفية المعاصرة جدارتها في التحليل النصي، لأن الذهن عموما يفهم ما يُعرض عليه من خلال الصورة والنموذج. وقد بسط البحث مفهوم ابن القيم في نظريته للتفسير للخطأ في

الدليل والمدلول وكيفية النظر لخصوصية اللفظ القرآني في عموم الدلالة اللغوية. وقد أصبح بحث الذهن وعلوم الدماغ الآن ضمن اللسانيات المعرفية Cognitive Linguistics هو الرؤية المتكاملة لتحليل اللغة بمستوياتها جميعا، ولا غنى عنه في التحليل النصي.

2- ضرورة النظر في العلاقة بين النحو والدلالة، وصولا لمستوى التحليل النحوي الجمالي؛ الذي هو: تحليل عناصر التركيب اللغوي للجملة **وبيان موضع كل لفظ وعلاقته بغيره**، وبيان التفاوت بين تركيب وآخر. وقد بينت الدراسة نماذج وفق هذا المنهج.

3- اعتماد نظرية الرصف أو المصاحبة اللفظية أساسا من أسس التفسير النصي، لتعلقها الشديد ببحث اكتساب اللفظ دلالات متعددة بمصاحبته وتلازمه مع ألفاظ أخرى، ونجد ذلك في تراث الأصوليين عند الآمدي في سبره لقضية دلالة الالتزام والتضمن، وحديثا نجدها نظرية متكاملة عند ستيفن أولمان وغيره من الباحثين في السياق.

4- تدقيق الصورة القرآنية المحمولة بالتركيب اللغوي وفق وحداته التكوينية: الأصوات، والمعجم، وسبر خصائصها، أمر لا مناص منه في الوصول إلى الدلالة الشمولية للآيات، ويستتبع ذلك تسريح الذهن في عموم النص الحكيم، الذي يتميز بالاتساق التام، فيما أطلقنا عليه: نظام المعاني المتكامل للنص القرآني **Qur'anic System of Meaning** وهو المعروف أيضا عند اللسانيين الغربيين بمصطلح **تسييق الوحدة اللغوية Contextualization** ، وبدونه لا يمكن تفسير الآيات أبدا. وقد يمتد هذا النظام المتكامل إلى نصوص السنة الصحيحة؛ وهو المعروف تراثيا بتفسير القرآن بالسنة، وهو أيضا من أصول نظرية التفسير عند ابن القيم وشيخه ابن تيمية. وقد أوضحنا في مواضع كثيرة من الدراسة نماذج تطبيقية تدلل على أهمية هذا الأساس التفسيري للنص الحكيم.

5- اعتمدت اللسانيات الحديثة **نظرية النماذج الأصلية Prototype Theory** أساسا من أسس تفسير النص اللغوي، وهذه النظرية لا تنفك في فحواها عن **نظم** عبد القاهر الجرجاني، شيخ البلاغيين العرب، ومطالبها لا تتضاد مع البناء الدلالي للقرآن الكريم كما عرضها البحث، خاصة عند التعامل مع الوحدات المعجمية وما يتفرع عنها من وحدات دلالية وصرفية وصوتية. وهي أيضا من النظريات الذهنية المعرفية المعتبرة في حقل التفسير النصي.

6- اعتماد رؤية ابن القيم في بحثه قضية الدليل اللغوي والتفسير بالمعنى المباشر وبلازم المعنى، كما عرضه البحث.

7- لا غنى للمفسر للنص الحكيم عما عُرف تراثيا بـ **عُدة المفسر الكسبية**؛ وهي تحصيل القدر الكافي من الفهم اللغوي لأنماط الوحدات التركيبية المعجمية والصوتية والنحوية والدلالية، التي بدونها لا يمكن أبدا فهم النص القرآني، لأنه في النهاية النص المعجز للغة العربية في أكمل صورها البيانية. كما بيَّنا مثلا من القيود المعجمية على التركيب النحوي، ونموذج من تركيب الصورة القرآنية بالمقومات النحوية.

8- ضرورة الجمع المعرفي بين أصول التفسير ونماذجه المعتبرة والمنجز اللساني المعاصر في نظرية اللغة، لأن علم التفسير لا يمكن أن يقف عند حد ثابت، أو قدر مقيد من القواعد، بل إن التفسير علم يتسم بالمطاوعة Plasticity وقابلية الأنماط المقترحة، بشرط عدم اختراق الإطار العقدي، أو المساس بثوابت الدين.

9- عرض البحث نماذج تحليلية مطولة . تخطت في فقرة الدلالة المعجمية 25 نموذجا . للكثير من الآيات الكريمات، بناء على أسس صوتية ومعجمية ونحوية وصرفية، تضافرت فيها مقومات التفسير لتحديد المعنى تحديدا دقيقا لا يخرج إلى إطار متكلف أو تأويل فاسد، حاولت فيه الدراسة شرح كيفية التطبيق العملي للتفسير وفق ما بسطته في مستهلها من أصول نظرية ومطالب تأسيسية، يرى الباحث فيها معينا لبناء مرتكزات معرفية لغوية لنظرية التفسير المعاصرة بإذن الله. كما فصلنا مثلا في قضية عيسى عليه السلام ومعنى الوفاة المقصود من خلال منطقية المعجم والدلالة، والفارق بين الانبجاس والانفجار، والبصر والنظر ودلالة قوله سبحانه: "لا تدركه الأبصار"، ومسألة الخلد والخلود ... إلخ، من قضايا عالج الباحث فيها تفسير النص من منطلقات مختلفة ومتضافرة في آن: منطقيا ومعجميا ونحويا وصرفيا، وانتهاء بالصورة الدلالية العامة.

◄ قائمة بمراجع الدراسة:

1. **أبحاث في النحو والدلالة**، السيد خضر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2009.
2. **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين السيوطي، طبعة مجمع الملك فهد، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، د.ت.
3. **الإحكام في أصول الأحكام**، الآمدي (سيف الدين علي بن يوسف)، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي بيروت، ط 2، 1986.
4. **أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة**، محمد محمد يونس علي، عالم الفكر، الكويت، م 32، ع 1، سبتمبر 2003.
5. **أصول النحو العربي**، محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ط 5، 2006.
6. **إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي**، علي مهدي زيتون، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 1، 1992
7. **الإعجاز القصصي في القرآن الكريم**، سعيد عطية مطاوع، دار الآفاق العربية، ط 1، 2006.
8. **إعجاز الكلمة القرآنية: دراسة أسلوبية بلاغية**، عبد الحميد هنداوي، دار العلياء، القاهرة، ط 1، 2013.
9. **آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي**، لطيفة إبراهيم النجار، مجلة جامعة الملك سعود، م 17، الآداب، 2004.
10. **تفسير الشعراوي**، محمد متولي الشعراوي، مؤسسة أخبار اليوم المصرية، ط 1، 2007، أجزاء منوعة.
11. (**تفسير**) **أنوار التنزيل**، للبيضاوي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
12. **أهمية السياق ودقته وحدود حاكميته**، عبد الوهاب رشيد صالح أبو صفية، دار عمار، الأردن، ط 1، 2012.
13. **البحث البياني في البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي**، عطية جمعة هارون، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2012.

14. (تفسير) **البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1993.
15. **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، الأردن، سلسلة دراسات بيانية في الأسلوب القرآني، رقم (2)، ط 6، 2009.
16. **البعد عن السياق وأهم أسبابه**، عبد الوهاب رشيد صالح أبو صفية، دار عمار، الأردن، ط 1، 2011.
17. **تأويل مشكل القرآن**، ابن قتيبة، تحقيق السيد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1973.
18. **الاتجاهات المنحرفة في التفسير**، محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1973.
19. (تفسير) **التحرير والتنوير**، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، ط 1، 1984.
20. **التحفة القلبية في حل الألفاظ القرآنية**، لموسى بن محمد بن يوسف القلبي، تحقيق محمد محمد داود، طبعة مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2012.
21. **التصوير الفني في القرآن**، سيد قطب، دار الشروق المصرية، ط 20، 2010.
22. **تفسير النص، أسس نظرية لغوية لعلم دلالة تفسيري**، ديتريش بوسه، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط 1، 2013.
23. **التكامل السياقي: دلالة وتفسير**، عبد الوهاب رشيد صالح أبو صفية، دار عمار، الأردن، ط 1، 2011.
24. **الخصائص**، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط 1، 1986.
25. **خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني**، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 8، 2009.
26. **دلالات التراكيب: دراسة بلاغية**، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 4، 2008.
27. **دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث**، عبد الفتاح عبد العليم البِركاوي، دار المنار للنشر، القاهرة، ط 1، 1991.

28. **الدليل اللغوي وعلاقة اللفظ بالمعنى عند الفخر الرازي**، نوار عبيدي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد السابع، جوان، 2010.
29. **الروح**، لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد أنيس عبادة، ومحمد فهمي السرجاني، مكتبة نصير، القاهرة، د.ت.
30. **العلاقات السياقية لظاهرة العدول في العربية**، عمر خليل، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، م (24)، ع (3)، 2010.
31. **علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة**، حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2009.
32. **فقه اللغة وسر العربية**، أبو منصور الثعالبي، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة المصرية، ط 1، 2007.
33. **كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم**، محمد محمد داود، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 2، د.ت
34. **لطائف قرآنية**، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط 5، 2013.
35. **مباحثات لسانية في ظواهر قرآنية**، مهدي أسعد عرار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2008.
36. **المستصفى من علم الأصول**، الإمام الغزالي، تحقيق عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية، ط 2، 2010.
37. **المعجم الاشتقاقي المؤصل للغة القرآن الكريم**، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2012.
38. **معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم**، محمد محمد داود، دار غريب، القاهرة، ط 1، 2008.
39. **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط 5، 2008.
40. **معيار العلم في فن المنطق**، الإمام الغزالي، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1961.
41. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ابن هشام الأنصاري، طبعة مكتبة الآداب، ط 1، 2009.

42. **مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، مراجعة عبد الله الصاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 3، د.ت.
43. **مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن**، تمام حسان، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، 2010.
44. **المفردات في غريب القرآن**، للراغب الأصفهاني، تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، د.ت.
45. **ملكة اللسان: إبداع الإنسان وعبقرية المكان**، أحمد دراج، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 2، 2009.
46. **من جماليات التصوير في القرآن الكريم**، محمد قطب عبد العال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، 2006.
47. **منهج أهل السنة في تفسير القرآن**، صبري المتولي المتولي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط 2، 2002.
48. **الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز**، للدامغاني، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ط 1، 2012.
49. Stephen Ullmann, Oxford University Press, 1973 Meaning and Style,